أحاديث الفتن

والفقه المطلوب

د. مأمون فريز جرار

دار الأعلام

دار المأمون للنشر والتوزيع

أحاديث الفتن

والفقه المطلوب

د. مأمون فريز جرار

دار الأعلام

دار المأمون للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

أحاديث الفتن

والفقه المطلوب

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٢٠٠٦/٧/١٧٧٩)

٢٤٥

جرار ، مأمون فريز
أحاديث الفتن والفقه المطلوب / مأمون فريز جرار . -
عمّان : دار المأمون ، ٢٠٠٦
(١٢٠) ص .
ر . إ: (٢٠٠٦/٧/١٧٧٩).

الواصفات :/ الفقه الإسلامي // الغيبيات //اليوم الآخر/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٢٠٠٦/٦/١٨٨٠

دار المأمون للنشر والتوزيع

العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس : ٠٠٩٦٢-٦-٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب : ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun@maktoob.com

دار الأعلام

العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس : ٠٠٩٦٢-٦-٤٦٥٧٤٦٨
ص.ب : ٩٢٧٥٦٣ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : al-aalam@yahoo.com

ردمك : ISBN ٩٩٥٧-٤٦٢-١٥-٦

فتنة أحاديث الفتن

ياسين إبراهيم حمو

للإنسان ولع شديد فطري باستشراف المستقبل، ومحاولة التعرف على مصيره على هذه الأرض وبعدها، كان هذا في الماضي كما هو الآن وكما سيكون في المستقبل.. ولقد جاء هذا الدين، دين الفطرة، بما يلبي من الحاجات الفطرية عند الإنسان، ومن ذلك تزويده بتصور عن نشأة الكون والحياة الإنسانية، ومسيرة الإنسان ومصيره في الحياة الدنيا وفي الآخرة..

ولقد وردت آيات قرآنية في هذا وأحاديث نبوية، وإذا كانت الآيات القرآنية يقينية الثبوت، فإن يقينية الدلالة تبقى موضع نظر في بعض الآيات إذ ليست كلها في مستوى واحد.. إلا أن الأحاديث النبوية في معظمها ظنية الثبوت، ومعظمها ظني الدلالة.. وهذا يطرح مشكلتين كبيرتين:

الأولى: قضية ثبوت الأحاديث، وهي قضية علمية تحقيقية، وقد قيض الله تعالى لهذه الأمة من الرجال من جعلوا خدمة الحديث حياتهم وديدنهم، وقدموا في هذا المجال أقصى ما يستطيعون من جهد وتمحيص بحيث أصبح لدينا رصيد هائل من ا لمعرفة بصحيح

الحديث وحسنه وضعيفه وموضوعه، وبحيث يستطيع الفقهاء والباحثون، بالاستفادة من جهود المحدثين، أن يدرسوا متون الأحاديث التي تدخل في موضوع معين ليضعوا لنا حدوداً لهذا الموضوع، وفقهاً خاصاً به مبنياً على ما ثبت نقله عن النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، ومن ذلك ما يتعلق بالفتن موضوع هذا الكتاب.

الثانية: قضية الدلالة.. وهي قضية تالية لقضية الثبوت، وهي داخلة في دائرة علوم أخرى غير علوم الحديث، تبدأ بعلوم العربية، وعلم أصول الفقه، وتستعين بعلوم أخرى منها التاريخ والجغرافيا والفلك وعلوم الأرض والأحياء والسياسة والاقتصاد، وغيرها، وذلك بحسب طبيعة الموضوع الذي تتناوله هذه الأحاديث.

وفي موضوع أحاديث الفتن تبرز هاتان المشكلتان:

١- مشكلة معرفة درجة صحة هذه الأحاديث، إذ إن كثيراً مما يتداول في هذا الباب من الأحاديث غير صحيح، وهو الأمر الذي يساهم في تشويش الرؤية الإسلامية للحاضر والمستقبل، وهذا يقتضي من كل باحث في هذا الشأن أن يحرص على التدقيق في درجة صحة هذه الأحاديث، حتى يعين نفسه وغيره على تصفية الرؤية الإسلامية في هذا الجانب.. وقد فعل خيراً مؤلف هذا الكتاب حين اختار الأحاديث مما صح لدى أهل هذا الفن..

٢- مشكلة فقه هذه الأحاديث التي يتسم معظمها ـ كما أسلفنا ـ بأنه ظني الدلالة، وهو الأمر الذي دعا فريقاً من الناس إلى تجاهل هذه الأحاديث جملة وتفصيلاً، فجعل من نفسه قَيّماً على دين الله يلغي منه ما لا يستطيع فهمه لسبب ولغير سبب، وبدافع الغيرة ـ ربما ـ وهو ما يجعله في مشكلة مع السنة إجمالاً وليس مع أحاديث الفتن فحسب. وإذا كان هذا الكتاب يحاول تقديم فهم لبعض أحاديث الفتن، فهو اجتهاد مشكور قابل للنقد، ولكن المسألة الكبيرة التي يسعى إليها الكاتب هنا هي التأكيد على ضرورة أن يكون لنا فقه لهذه الأحاديث، وأن تؤخذ هذه الأحاديث مأخذ الجد لأنها لم تأت عبثاً، فمصدرها عندما يصح ثبوتها لا يعرف العبث ـ حاشاه ـ وما جاءت إلا جزءاً من الهداية التي بُعث بها النبي ﷺ.

فلا بد إذن أن نؤكد على أن أحاديث الفتن شكلت فتنة في الماضي وفي الحاضر لصنفين من الناس:

١- فمن أعرض عنها ورفضها جملة وتفصيلاً، فقد أعرض عن سنة النبي ﷺ، وفي هذا فتنة أيما فتنة. ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٢- ومن أطلق لنفسه العنان يسرد منها ما صح وما لم يصح، وأطلق لخياله العنان أيضاً يفهم منها ما يشاء وكيف يشاء، بعلم

وبغير علم، فقد ضل في نفسه وأضل غيره، وشارك في إشاعة الرؤى المشوشة التي تجد لها مرتعاً في البيئات الأُمية التي تعجز عن مواجهة الحياة بالعلم والمعرفة والعمل الإيجابي الصالح، فتهرب إلى هذه الرؤى والخيالات التي تلبي نزوع الناس نحو التساؤل، فتقدم لهم رؤى جاهزة تتستر وراء القيم الإيمانية المعتمدة على الإيمان بالغيب، وكأنها من علم الغيب الذي أمرنا أن نؤمن به.. وفي هذا أيضاً فتنة أيما فتنة.

ونحن إذ نعوذ بالله دوماً من الفتن ما ظهر منها وما بطن، لندرك أن بعض هذه الفتن يدخل عقولنا ويستولي على قلوبنا وينتشر في حياتنا وهو يتذرع بتأويلٍ لآية أو بعض آية، أو بفقهٍ لحديث أو بعض حديث أو ما يقال: إنه حديث، ومن أجل هذا نردد مع الكاتب عنوانه الموفق «أحاديث الفتن والفقه المطلوب» والذي عده ـ وهو كذلك ـ تمهيداً لدراسات جادة متوازنة لهذه الأحاديث تعطيها ما يستحقه حديث النبي ﷺ من العناية والاهتمام، وتحاول الخروج بفقهٍ لهذه الأحاديث منسجمٍ ومتوافقٍ مع القرآن وصحيح السنة، وبما يراعي (حقائق) التاريخ والجغرافيا وسنن الله تعالى في الأنفس والآفاق، وبما لا يلغي أحكام الشريعة التي تجعل الإنسان مسؤولاً عن واقعه، مربوطاً مصيره بما يحدثه هو من تغيير في نفسه، لا بما ينتظره ويتمناه بلا مسوغ يدعو إليه أو يسمح به في واقعه.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله، ورضي الله عن الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة قد لفتت أنظار المسلمين منذ نطق بها النبي ﷺ، فأخذ منها الصحابة ما تعلق بهم وبعصرهم الذي عاشوه، ورووا ما سمعوه للأجيال التالية.

ليأخذ منها كل جيل ما أخبر به النبي ﷺ.

وليكونوا على حذر من أمرهم.

وليكون فيما أخبر به النبي ﷺ دليل نبوة يزيدهم إيماناً، وقد أفرد علماء الحديث لهذه الأحاديث أبواباً في كتبهم، وأفردها في التأليف عدد من المؤلفين، منهم: نعيم بن حماد في كتاب: الفتن، وابن كثير في كتاب: النهاية في الفتن والملاحم. ومن المعاصرين: الشيخ حمود التويجري في كتابه: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة. وصدرت مؤلفات تحاول الوقوف على هذه الأحاديث واستخلاص رؤية معاصرة لواقعنا وللمستقبل.

وقد كنت كتبت منذ سنوات بحثاً نشر في مجلة البيان في العددين ٣٢و٣٣ اللذين صدرا في عام ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، وقد لقي هذا البحث شيئاً من الاهتمام، ووضع في بعض المواقع في (الإنترنت). ورأيت أن من المهم الرجوع إلى هذا البحث ومراجعته وإضافة ما تحسن إضافته إليه، وتقديمه إلى الناس لعل فيه ما يضيف إلى ما قدمه الباحثون الآخرون، ولعله يكون شمعة تسهم في كسر حدة الظلام الذي يخيّم على أمتنا.

إن من مجالات البحث في زماننا ما عرف بالدراسات المستقبلية، وهي دراسات تستشرف المستقبل لرسم الخطط له، حتى لا يقع الناس في مفاجآت غير محسوبة. وإن بين أيدي المسلمين من وثائق الوحي ما يعينهم على رؤية المستقبل والاستعداد له، ليكونوا على بينة من أمرهم.

إننا نتحدث عن أحاديث صحيحة منها ما ورد في الصحيحين، ومنها ما ورد في كتب الحديث الأخرى:

فما لنا نعرض عنها؟

وما لنا لا نفيد منها وهي كنز من المعلومات؟

أهو العجز أم ماذا هو؟

وما أعجب أمر من جاءته بينة من ربه فعمي عنها!

وما أعجب أمر من جاءته رسالة من نبيه فلم يكلف نفسه عناء فضها!

لقد كان النبي ﷺ يتحدث عن الفتن والملاحم ويكثر الحديث عنها، وكان الصحابة رضي الله عنهم، يحسنون الإصغاء، ويحسنون الفهم.

ومن فهم علم، ومن أعرض ندم.

وأحاديث الفتن والملاحم امتد مداها منذ عهد النبي ﷺ حتى قيام الساعة، فكل مسلم معنيّ بها، ولكل مسلم فيها نصيب. ولكن المطلوب وضع ضوابط للفهم، والمطلوب أن ينهض من أوتي فهماً ليقدم للناس ما يفتح الله عليه مما يكون خيراً وبركة على المسلمين، ليستنيروا في مسيرة حياتهم بالتوجيهات النبوية.

وليس أمر هذه الأحاديث خاصاً بأفراد بل هو شأن الأمة، وشأن الحركات الإسلامية التي عليها أن تستهدي في مسيرتها بالرؤية النبوية لواقعها. وأرجو أن يجد القارئ في هذا الكتاب شيئاً من الفائدة، وحافزاً للاطلاع على أحاديث الفتن ومحاولة الإفادة منها.

وأخيراً لا بد من التنبيه إلى مصطلحات ثلاثة ترد في هذه الأحاديث: الفتن والملاحم وأشراط الساعة. وقد يستخدم بعض أهل العلم أحد هذه المصطلحات ويريد المعنى الخاص بهذا

المصطلح أو المعنى العام الدال عليها جميعاً. وقد ورد مثل هذا الاستعمال العام في عدد من كتب الحديث النبوي:

ففي صحيح البخاري بشرح ابن حجر (فتح الباري) ورد في الجزء الثالث عشر «كتاب الفتن»، وجعل البخاري هذا الكتاب في ثمانية وعشرين باباً، لكل باب منها عنوان، وكثير من العناوين مستمدّ من أحاديث الرسول ﷺ، وقد أورد البخاري بعض ما سيكون ـ أو كان بالقياس إلى عصرنا نحن ـ من أحداث بين المسلمين، وهو الغالب على الأبواب، ولكنه ذكر إلى جانب ذلك الدجال ويأجوج ومأجوج.

وجاء الحديث عن أحاديث الفتن في صحيح مسلم بشرح النووي في الجزء الثاني عشر تحت عنوان «كتاب الفتن وأشراط الساعة» ابتدأه بأحاديث كثيرة غير مبوبة، ثم أورد أبواباً لابن صيّاد والدجّال والجسّاسة، وفضل العبادة في الهرج، وباب قرب الساعة، وباب ما بين النفختين. ونلاحظ أن أحاديث ما بين النفختين قد جاءت في سياق أحاديث الفتن وأشراط الساعة.

وقد استخدم محمد فؤاد عبد الباقي مصطلح الإمام مسلم في كتاب «اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان»، وأورد الأحاديث في سبعة وعشرين باباً، مما اتفق عليه البخاري ومسلم.

فأما الفتن: فهي جمع فتنة. ومن معانيها: الاختبار، مما يبتلى به الإنسان في نفسه وماله لتتكشف حقيقة دينه، ومنها قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ومن معانيها: ما يكون بين المسلمين من اختلاف الآراء الذي يصل إلى حد الاقتتال. وبهذين المعنيين وردت أحاديث عن النبي ﷺ.

وأما الملاحم فجمع ملحمة، وهي المعركة. وقد جاءت أحاديث كثيرة تبين ما سيكون بين المسلمين وغيرهم من المعارك حتى قيام الساعة، وبعض هذه الملاحم وقع قبل عصرنا ومنها ما سيقع من بعد.

وأما أشراط الساعة فهي علامات تدل على قرب وقوعها، لا بدّ أن تحدث قبل قيامها، والفتن والملاحم من هذه الأشراط.

وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

وقد وردت عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة تربط أموراً بالساعة بصيغ متعددة منها:

- لا تقوم الساعة حتى..

- إن من أشراط الساعة . .

- إن بين يدي الساعة . .

- ستكون أو سيكون . .

وكأنما هذه العلامات أو الأشراط محطات بارزة في مسيرة الحياة على الأرض، تؤذن بقرب قيام الساعة، وما سيصحبه من انقلاب كوني.

وقد جعلت هذا الكتاب في فصلين، الأول: نظرات في أحاديث الفتن، والثاني: الفقه المطلوب لأحاديث الفتن.

وأرجو أن أُتبع هذا الكتاب بدراسات مفصلة في أحاديث الفتن بعد جمع ما أستطيع جمعه وتصنيفه تمهيداً لدراسته.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أنني أخذت بعض الأحاديث من مصادرها، وأخذت بعضها من مصادر ثانوية كصحيح الجامع ولعل الله تعالى يوفقني إلى جمع الأحاديث من مصادرها وتصنيفها ودراستها. وعلى الله الاتكال.

عنوان المؤلف:

البريدي: ص.ب ١٤١٦٤٨ عمان ١١٨١٤ .

الإلكتروني: Mamofj @yahoo.com

د. مأمون فريز جرار

شهر شعبان ١٤٢٣هـ

تشرين أول ٢٠٠٢م

الفصل الأول

نظرات في أحاديث الفتن

الفصل الأول
نظرات في أحاديث الفتن

علينا أن نسأل أنفسنا: لم حدّث النبي ﷺ المسلمين بأحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة؟ ولماذا كان منه ذلك الاهتمام الشديد بالفتن وأخبارها، حتى كان الصحابة يصابون بشيء من الذعر لكثرة حديثه عنها؟!

استيقظ النبي ﷺ من نومه ذات مرة فسمعته أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها، يقول:

«لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب. فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» [وأشار بيده إشارة تدل على مقدار ما فُتح] فقالت زينب رضي الله عنها: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟

قال: نعم، إذا كثر الخبث(١).

وينكشف للنبي ﷺ ما لا ينكشف لأصحابه من المستقبل: قريبه وبعيده، فيخبرهم بما يراه، إعلاماً وتحذيراً؛ فيقول وقد أطل على المدينة من بناء عال:

(١) رواه الشيخان والنسائي والبيهقي ـ صحيح الجامع الصغير ص ١٢٠٥ الحديث رقم ٧١٧٦.

«هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر»[1].

وقد وقع هذا الذي حدثهم عنه رسول الله ﷺ في العصر الأموي، عندما وقع في المدينة خروج على سلطة بني أمية، فغزا المدينة جيش استباح فيها الحرمات[2].

وكما حدث النبي ﷺ الصحابة عن الفتن القريبة حدثهم عن فتن بعيدة، لم يدركوها ولكنهم حملوا أخبارها إلى الأجيال التالية التي ستدركها لتكون تلك الأجيال على بينة من أمرها، وتعرف فتن عصرها، وتتبين سبيل النجاة من تلك الفتن. ومن ذلك حديثه عن الدجال، وقد جعل من الأدعية التي يدعو بها المسلم قبل السلام من الصلاة أن يستعيذ من: عذاب القبر وعذاب جهنم، وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال[3].

(١) رواه الشيخان وأحمد في المسند ـ صحيح الجامع الصغير ص١١٧٨ الحديث رقم ٧٠٣٠.

(٢) انظر وقعة الحرة سنة ٦٣هـ، البداية والنهاية ٨/ ٢٢٠.

(٣) رواه البخاري والنسائي ـ صحيح الجامع الصغير ص٢٧٧حديث رقم ١٢٩٤.

البداية والنهاية

إن الناظر في أحاديث الفتن وأشراط الساعة يجد نفسه أمام منظومة من المعلومات المستقبلية أو النبوءات لا يمكن أن تكون بحال من خيال البشر، ولا من الرجم بالغيب، بل هي وحي أوحاه الله تعالى إلى نبيه ﷺ ليبلغه أمته، ليكونوا مستعدين لما سيواجهونه من أحداث، ويتخذوا للفتن عدّتها من الصبر والإيمان، ويسلكوا السبيل الأقوم والأسلم في مواجهتها وفق قدراتهم وأحوالهم، وليكون تحقق ما أخبر به النبي ﷺ من نبوءات دلائل على صدق نبوته، يرونها فيقولون: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قال فصدق.

لقد ثبت في صحاح الأحاديث أن النبي ﷺ قص على أصحابه أخبار الوجود من بدايته إلى نهايته. أو لنقل حدثهم عن رحلة الإنسان من الوجود إلى الخلود. ومن هذه الأحاديث ما يلي:

يروي لنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخبر التالي:

«قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم. حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه»[١].

---

(١) فتح الباري ٦/ ٣٣١ حديث رقم ٣١٩٢.

وهذا الذي يحدثنا عنه عمر، رضي الله عنه، ليس مقصوراً على أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة بل امتدّ من لحظة بدء الخلق وما تلا ذلك من أحداث، وما كان على الأرض من أمم ورسل حتى وصل إلى عصره، ثم استشرف الزمن التالي لعصره، وحدثهم عنه حتى قيام الساعة وبعث الناس من قبورهم ومحاسبتهم ثم دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. هذا ما أفهمه من حديث عمر رضي الله عنه.

ويحدثنا أبو زيد عمرو بن أخطب رضي الله عنه فيقول:

«صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس. فأخبر بما كان وما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا»(١).

ولعل هذا الحديث يشير إلى ما أشار إليه عمر رضي الله عنه، وإن يكن جاء في حديث عمر «عن بدء الخلق» وفي حديث أبي زيد «بما كان».

ويروي حذيفة خبراً يتضمن ما ورد في الحديثين السابقين:

«لقد خطبنا رسول الله ﷺ خطبة، ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله. إن كنت

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/ ١٦.

لأرى الشيء قد نسيت، فأعرف ما يعرف الرجل إذا غاب عنه فعرفه»[1].

وإن مما يلفت النظر في هذه الأحاديث أموراً، منها:

تعقيب الصحابة الثلاثة الذين رووا هذه الأحاديث بالإشارة إلى أن من الصحابة من حفظ تلك الأحاديث والأخبار، ومنهم من نسيها، ومن حفظ كان أعلم ممن نسي.

ويلفت النظر كذلك إشارة حذيفة رضي الله عنه بأن بعض ما تحدث عنه النبي ﷺ من الأحداث القريبة العهد بعصره قد تحقق، فلما رآه حذيفة تذكر حديث النبي ﷺ عنه، فتذكره كتذكر الإنسان شخصاً رآه ثم غاب عنه مدة، فرآه مرة أخرى فتذكر لقاءه الأول به!!

ومما يلفت النظر كذلك السؤال عن تلك الخطبة الطويلة، أو الأحاديث المفصلة عمّا كان وما هو كائن: أين هي؟ والجواب - فيما أرى - أن هذه الخطبة لم ترو كما سمعها الصحابة رضي الله عنهم مجموعة بل مفرقة، نجدها وغيرها من الأحاديث في كتب السنة في أبواب الفتن والملاحم وأشراط الساعة.

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٢/ ٣٠٤.

حذيفة وأحاديث الفتن

كان النبي ﷺ يحدث المسلمين عن الفتن في المجالس العامة، كما سبق في الأحاديث التي أشرت إليها من قريب، ولكن كان لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه تميّز في أحاديث الفتن.

فقد كان حذيفة أعلم الصحابة بالفتن. فهو يقول:

«أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة. فما من شيء إلا قد سألته، إلا أني لم أسأله ما يُخرج أهل المدينة من المدينة»[١].

ويبدو أن حذيفة رضي الله عنه كان يتحرج من ذكر كل ما كان يعلم من أمر الفتن؛ خشية أن يكون بعض ما يعلمه سراً ائتمنه النبي ﷺ عليه، لأنه خصّه بأخبار غير تلك التي كان يُحدِّث بها الصحابة جهراً. وهذا ما نتبينه من قول حذيفة:

«والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ، أَسَرَّ إليّ في ذلك شيئاً لم يحدثه غيري. ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه عن الفتن:

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/ ١٦.

فقال رسول الله ﷺ وهو يعدّ الفتن:

منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئاً.

ومنهن فتن كرياح الصيف، منها صغار، ومنها كبار.

قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري»[١].

ومن الأمثلة الدالة على معرفة حذيفة بتفاصيل الأحداث التي وقعت بعد عهد رسول الله ﷺ أنه كان في الكوفة على عهد عثمان رضي الله عنه، وأرسل عثمان إليهم والياً، فخرج أهلها إليه قبل دخوله مدينتهم، وردّوه عنها، ورفضوا توليته عليهم، وطلبوا من عثمان أن يولي عليهم أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، وعُرف ذلك اليوم بيوم الجرعة، والجرعة موضع قرب الكوفة.

وقد روى جندب بن عبد الله شيئاً مما كان في ذلك اليوم فقال:

«جئت يوم الجرعة، فإذا رجل جالس. فقلت: ليهراقن اليوم ههنا دماء.

فقال ذلك الرجل: كلا والله.

قلت: بلى والله.

قال: كلا والله، إنه لحديث رسول الله ﷺ حدثنيه.

قلت: بئس الجليس لي أنت منذ اليوم، تسمعني أخالفك وقد سمعته من رسول الله ﷺ فلا تنهاني؟

(١) المصدر السابق ١٨/ ١٥.

ثم قلت: ما هذا الغضب؟

فأقبلت عليه وأسأله، فإذا الرجل حذيفة[١].

ولنا أن نسأل هنا ما الذي أدرى حذيفة بما سيكون في ذلك اليوم من أحداث جعلته على بينة من أمره وجعلته يعلن أنه لن يكون بين المسلمين اقتتال ولا إراقة دماء. أوليس هذا الحديث دالاً على مدى التفصيل في الأخبار التي بيّنها النبي ﷺ؟

ومن ذلك ما يرويه حذيفة عن حوار دار بينه وبين عمر بن الخطاب عن الفتن، وذلك في قوله:

- كنا جلوساً عند عمر رضي الله عنه فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟

قلت: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي.

قال: ليس هذا أريد، ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر.

قال (أي حذيفة): ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً.

قال: أيكسر أم يفتح؟

قال (أي حذيفة): يكسر.

(١) المصدر السابق ١٨/ ١٨.

قال (أي عمر): إذاً لا يغلق أبداً.

قلنا (أي راوي الحديث عن حذيفة): أكان عمر يعلم الباب؟

قال (أي حذيفة): نعم، كما أن دون الغد الليلة، إني أحدثه حديثاً ليس بالأغاليط.

(قال أحد رواة الحديث): فهبنا أن نسأل حذيفة فأمرنا مسروقاً فسأله: فقال: الباب عمر[1].

وسياق الحديث يدل على أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعرف من أمر تلك الفتنة ما كان يعرفه حذيفة، وكان يعلم أنه سيقتل شهيدا، وأن الفتن من بعده ستموج بالمسلمين، ولعله أراد أن يتثبت مما عنده، أو أن يعرّف الناس به برواية حذيفة له.

ويحدث حذيفة أصحابه عن سرّ تمكنه من أخبار الفتن، ومعرفته منها ما لم يكن غيره من الصحابة يعرفه فيقول:

«إن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر. فأنكر ذلك القوم [أي الذين كان حذيفة يحدثهم] فقال لهم: إني سأخبركم بما أنكرتم من ذلك:

جاء الإسلام حين جاء، فجاء أمر ليس كالجاهلية. وكنت قد أُعطيت في القرآن فهما، فكان رجال يجيئون فيسألون عن الخير، فكنت أسأل عن الشر.

---

(١) اللؤلؤ والمرجان ٣/ ٣٠٤ وصحيح سنن ابن ماجه للألباني ٢/ ٣٥٣.

فقلت: يا رسول الله، أيكون بعد هذا الخير شرّ كما كان قبله شرّ؟

قال: نعم.

قلت: فما العصمة يا رسول الله؟

قال: السيف.

قال: قلت: وهل بعد هذا السيف بقية؟

قال: نعم، تكون إمارة على أقذاء. وهدنة على دَخَن.

قال: قلت: ثم ماذا؟

قال: ثم تنشأ دعاة الضلالة، فإذا كان لله يومئذ في الأرض خليفة جلد ظهرك، وأخذ مالك فالزمه، وإلاّ فمت وأنت عاض على جذل شجرة.

قال: قلت: ثم ماذا؟

قال: يخرج الدجال بعد ذلك، معه نهر ونار، من وقع في ناره وجب أجره، وحُطَّ وزره، ومن وقع في نهره وجب وزره، وحُطّ أجره.

قال: قلت: ثم ماذا؟

قال: ينتج المهر فلا يُركب حتى تقوم الساعة[١].

---

(١) الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد ٢٤/ ٢٥-٢٦.

وقد جاء بعد نص هذا الحديث أن قتادة وهو أحد رواته قد فسر الشرّ الذي تكون العصمة منه بالسيف بأنه الردة التي حدثت في زمن أبي بكر رضي الله عنه، وكان قتال المشركين عصمة للمسلمين.

ولا يخفى أن في هذا الحديث اختصاراً لمراحل كثيرة من التاريخ بين عهد البعثة النبوية وظهور الدجال وقيام الساعة، ولكن فيه وقوفاً على محطات مهمة في هذا التاريخ.

فتن ووصايا

قدّم النبي ﷺ للمسلمين صورة للزمن الآتي بعده، وهي صورة واقعية وإن لاح في بعض جوانبها ما يُوهم بالتشاؤم، وحاشا لرسول الله ﷺ أن يثير التشاؤم في نفوس المسلمين، إنما هم الناس، وأفهامهم المعوجّة عن رسول الله ﷺ.

وقد أخبر النبي ﷺ أصحابه ببعض ما سيكون من بعده مما سيدركونه، وأعطاهم وصايا عامة، كما قدم لبعضهم وصايا خاصة به، لما سيصيبه من بلوى أو فتنة.

وصايا عامة للصحابة:

لقد أعلم الله تعالى رسوله ﷺ بما سيصيب أصحابه من بعده من بلاء، وما سيحلّ بالإسلام من طلب بعض الناس للدنيا، واستئثارهم بها، وحرمانهم للرعيل الأول من المسلمين من حقهم، وهم الذين قام الإسلام على أكتافهم وأجسادهم التي صبرت ابتغاء وجه الله. ولذلك أوصى النبي ﷺ أصحابه بالصبر على ما سيرون من بعده. وقد جاءت في ذلك أحاديث منها:

- عن زيد بن وهب قال: سمعت عبدالله [يعني ابن مسعود] قال: قال لنا رسول الله ﷺ: إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها.

قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟

قال: أدّوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقّكم[١].

وفي هذا الحديث إشارة لما كان بعد الخلافة الراشدة من اتخاذ مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، ومن استئثار بالسلطة، وهذه الإشارة وأشباهها في الأحاديث النبوية تعين على فهم مسار التاريخ الإسلامي وتقدم أدوات تعين على تفسيره، وهي إشارات يتجاهلها كثير من الباحثين في التاريخ الإسلامي، زعماً للورع أو تجاهلاً لحقائق التاريخ ونبوءات النبي ﷺ.

- وعن أنس بن مالك عن أسيد بن حضير أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، استعملت فلاناً ولم تستعملني (أي لم تولّني عملاً من أعمال الدولة) فقال:

- إنكم سترون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني[٢].

وقد بين النبي ﷺ للمسلمين أن وحدة الأمة أمر لا ينبغي التهاون فيه، وينبغي أن يقاوم من يسعى إلى شق صف المسلمين. ولذلك أرشد المسلمين إلى ما ينبغي أن يفعلوه إن تعرضت وحدة الأمة للخطر.

---

(١) فتح الباري جـ٣ ص٧.

(٢) فتح الباري جـ١٣ص٧.

«ستكون بعدي هَنات وهَنات وهَنات، فمن أراد أن يفرق أمر المسلمين وهم جميع فاضربوه بالسيف كائناً ما كان»(١).

وقد أدى هذا التصوير لما سيكون إلى نشوء اتجاه في المجتمع الإسلامي لا يرى الخروج على الحاكم المسلم ما لم يكن منه كفر بواح، وذلك ما يسنده هذا الحديث:

- عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض، قلنا أصلحك الله، حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي ﷺ.

قال: دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويُسرنا، وأثرةٍ علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان(٢).

وإن مما يلفت النظر أن عبادة بن الصامت لم يدرك تحول الخلافة الراشدة إلى ملك في العهد الأموي، فقد حدث أصحابه وهو لم ير ما رآه أنس بن مالك الذي طال عمره وأدرك كثيراً من

(١) رواه أبو داود والنسائي والحاكم ـ صحيح الجامع ص٦٧٧حديث رقم ٣٦٢٢.
(٢) فتح الباري ١٣/ ٧.

الفتن التي حدّث عنها النبي ﷺ من استباحة للمدينة المنورة، ورجم الكعبة بالمنجنيق، وأدرك ما كان من الحجاج.

قال الزبير بن عدي: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما يلقون (أي المسلمون) من الحجاج، فقال: اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشرّ منه، حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ(١).

ولكن النبي ﷺ لم يدع أصحابه في عماية من أمرهم، بل أعطاهم وصايا يهتدون بها.

كان النبي ﷺ يعلم أن الفتن ثمرة الأهواء في أغلب الأحيان، أو هي ثمرة الاجتهاد مع حسن النية أحياناً، والله أعلم بنوايا عباده، وضحايا الفتن هم عامة الناس، أو الأتباع الذين يميلون إلى هذا أو ذاك من المتصارعين، نصرة للحق أحياناً، وميلاً مع الهوى أحياناً، وطلباً للدنيا أحياناً أخرى.

وقد أخبر النبي ﷺ الصحابة بفتن سيدركونها، وبين لهم كيف يواجهونها، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

«ستكون فتن: القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرّف لها تستشرفه ومن وجد فيها ملجأ أو معاذاً فليعذ به»(٢).

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٢٢.

(٢) رواه الشيخان ـ صحيح الجامع الصغير ص٦٧٧-٦٧٨ حديث رقم ٣٦٢٤.

إن هذا الحديث يصور الفتن كالعواصف والأعاصير، ولذلك يدعو إلى اتخاذ الملجأ عند هبوبها حتى تهدأ، وينهى عن أن يكون الإنسان ممن ينفخ فيها على النار التي تحرق المسلمين.

ويتكرر حديث النبي ﷺ عن الفتن، وتتكرر تعليماته لأصحابه وللمسلمين عامة في مواجهتها، والتصرف عند وقوعها.

عن خالد بن عرفطة قال: قال رسول الله ﷺ:

«ستكون أحداث وفتنة وفرقة واختلاف، فإن استطعت أن تكون المقتول لا القاتل فافعل»[١].

وفي حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال:

قيل: أفرأيت يا رسول الله، إن دَخل عليّ بيتي، وبَسط إليّ يده ليقتلني؟

قال: كن كابن آدم[٢].

ومنها حديث أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ وقد حدثهم عن الفتنة ووصاهم بما يلي:

«اكسروا فيها قسيّكم، واقطعوا فيها أوتاركم، والزموا فيها أجواف بيوتكم، وكونوا فيها كالخيّر من ابني آدم[٣]».

(١) صحيح الجامع الصغير ص٦٧٦ حديث رقم ٣٦١٦.
(٢) صحيح الجامع الصغير ص٦٧٧ حديث رقم ٣٦١٦.
(٣) صحيح الجامع ص ٢٦٥ حديث رقم ١٢٢١.

وفي الحديث الذي يرويه أبو بكرة عن رسول الله ﷺ نجد حديثاً عن الفتن ووصايا:

«إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتن؛ القاعد فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه. ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه».

قال: فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت من لم تكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟

قال: يعمد إلى سيفه فيدق على حدّه بحجر، ثم لينجُ إن استطاع النجاء. اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟

فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن أُكرهت حتى يُنطلق بي إلى أحد الصفين، أو إحدى الفئتين، فضربني رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟

قال: يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار[١].

ولم تكن هذه الوصية خاصة بالصحابة وحدهم بل تعم المسلمين في الفتن في كل زمان. ومن ذلك ما رواه أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ:

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/ ٩-١٠.

«إن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فكسّروا قسيّكم، وقطعوا اوتاركم، واضربوا بسيوفكم الحجارة، فإن دُخل على أحدكم فليكن كخير ابني آدم»(١).

وبين النبي ﷺ ما ينبغي أن يفعله المسلم عند وقوع الفتن، وهو الإكثار من العبادة، وذلك في قوله ﷺ:

«العبادة في الهرج كهجرة إلي»(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم، وخفّت أماناتهم، وكانوا هكذا ـ وشبك بين أنامله ـ فالزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصة أمرك، ودع عنك أمر العامة(٣).

ولعل مما تدل عليه هذه الأحاديث أن تغيير مسار الأحداث غير ممكن وأن سطوة الحكم ستكون من القوة ما يجعل سلامة الإنسان بلزوم بيته، وبالصبر على ما يجد.

---

(١) صحيح الجامع الصغير ص٤١٠-٤١١ حديث رقم ٢٠٤٩.
(٢) صحيح الجامع الصغير ص٧٥٧ حديث رقم ٤١١٩.
(٣) صحيح الجامع الصغير ص١٥٩ حديث رقم ٥٦٣.

ومما يستحق الإشارة أن في تاريخنا الإسلامي منهجين وخطين: منهج الصبر وترك الخروج على الحاكم، وهو الذي غلب على فكر أهل السنة. ومنهج الخروج والثورة وهو ما غلب على فكر أهل البيت ومن تشيع لهم. وقد كانت ثمرة المنهج الثاني قائمة طويلة من الشهداء الذين أُلِّفت في رصدهم كتب مثل (مقاتل الطالبيين). وهذا أمر يحتاج إلى دراسة وبحث مفصلين.

وصايا خاصة للصحابة:

لم يقتصر حديث النبي ﷺ لأصحابه على الوصايا العامة، بل وردت عنه وصايا خص بها بعض أصحابه أخبرهم فيها بما سيكون في حياتهم بعده، وبما سيلقون من محنة أو يواجهون من فتنة، وما عليهم أن يفعلوا في مواجهتها.

ومن ذلك تلك النبوءة باستشهاد اثنين من الخلفاء الراشدين ـ رضي الله عنهم ـ وقد وردت في حديثين، فقد كان النبي ﷺ مع أصحابه: أي أبي بكر وعمر وعثمان على جبل أحد، فاهتز الجبل، فقال النبي ﷺ:

«اثبت أحد فإنما عليك نبيّ وصديق وشهيدان»[1].

وفي مرة أخرى كانوا عند غار حراء فاهتز الجبل من تحتهم فقال عليه الصلاة والسلام:

(١) صحيح الجامع الصغير ص٨٨-٨٩ حديث رقم ١٣١.

«اثبت حراء فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد»[١].

ومن الوصايا الخاصة أن رسول الله ﷺ أخبر بعض أصحابه بالفتن من بعده، وأمرهم بفعل أشياء محددة إن وقعت الفتنة. عن عديسة بنت أهبان بن صيفي، قالت: لما جاء علي بن أبي طالب ههنا - يعني إلى البصرة - دخل على أبي فقال: يا أبا مسلم: ألا تعينني على هؤلاء القوم؟ قال: بلى قال: فدعا جارية، فقال: يا جارية، أخرجي سيفي. قال: فأخرجته، فسلّ منه قدر شبر، فإذا هو خشب. فقال: إن خليلي وابن عمك ﷺ، عهد إليَّ إذا كانت الفتنة بين المسلمين فأتخذ سيفاً من خشب، فإن شئت خرجت معك، قال: (أي علي رضي الله عنه): لا حاجة لي فيك ولا في سيفك[٢].

ومن الذين خصَّهم رسول الله ﷺ بالوصية أبو ذر الغفاري ذلك الصحابي الجلْيل الذي قال فيه رسول الله ﷺ:

«ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين»[٣].

وكذلك كان الأمر حين مات أبو ذر في الربذة قرب المدينة المنورة وممن شهد وفاته عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وصلى

(١) صحيح الجامع الصغير ص٨٩ حديث رقم ١٣٢.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٢٤-٢٥.

(٣) الفتح الرباني لمسند الإمام أحمد ٢٢/ ٣٧٤.

عليه في جماعة من المسافرين مَرّوا بالموقع الذي كان أبو ذر معتزلاً الناس فيه.

وقد أوصى النبي ﷺ أبا ذر وصية خاصة في الفتنة، فقال له:

- كيف أنت يا أبا ذر وموتاً يصيب الناس حتى يُقَوَّم البيت بالوصيف (يعني القبر)؟

قلت: ما خار لي الله ورسوله (أو قال: الله ورسوله أعلم).

قال: تصبر.

قال (أي الرسول ﷺ): كيف أنت وجوعاً يصيب الناس حتى تأتي مسجدك، فلا تستطيع أن ترجع إلى فراشك، ولا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك؟

قال: قلت: الله ورسوله أعلم (أو ما خار لي الله ورسوله).

قال: عليك بالعفّة.

ثم قال: كيف أنت وقتلاً يصيب الناس حتى تغرق حجارة الزيت (موضع بالمدينة) بالدم؟!

قلت: ما خار لي الله ورسوله.

قال: إلْحَقْ بمن أنت منه.

قال: قلت: يا رسول الله، أفلا آخذ سيفي فأضرب من فعل ذلك؟

قال : شاركت القوم إذاً ، ولكن ادخل بيتك .

قلت : يا رسول الله ، فإن دُخل بيتي .

قال : إن خشيت أن يبهرك شَعاع السيف فألق طرف ردائك على وجهك فيبوء بإثمه وإثمك فيكون من أصحاب النار[(١)] .

ولا يخفى ما في هذه الوصية من تعليمات لأبي ذر ومن يقف موقفه في الفتن التي أشار إليها الحديث .

ومن الوصايا الخاصة ما أوصى به النبي ﷺ محمد بن مسلمة ، حين قال له :

«إنها ستكون فتنة واختلاف ، فإذا كان كذلك ، فائت بسيفك أُحُداً فاضربه حتى ينقطع ، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يدٌ خاطئة ، أو منية قاضية»[(٢)] .

وصايا نبوية لعثمان بن عفان :

لقد كانت نهاية عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، لافتة للنظر . فهو الخليفة الذي كان يحكم دولة ممتدة الأطراف ، ويتبعه ولاة في مختلف البلاد ، ووالي الشام ، معاوية ، من أبناء عمومته ،

(١) صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٣٥٥ .

(٢) صحيح الجامع الصغير ص٤٧٨ حديث رقم ٢٣٤٢ .

والمسلمون في المدينة تَجمَّع منهم حوالي أربعمئة في بيته ليدافعوا عنه. ولكنه لم يرض أن يراق دم مسلم بسببه، فكفّ أيدي أنصاره وأتباعه عن القتال. وحاصره المعتدون حصاراً مريراً حتى منعوا عنه الماء، ثم قتلوه، ومنعوا الناس من السير في جنازته.

فما الذي دفع عثمان إلى الصبر على هذه الأحداث المؤلمة التي انتهت باستشهاده؟

لقد تلقى عثمان من رسول الله ﷺ وصايا خاصة، كشف له فيها ما سيكون معه، وأوصاه بالصبر حتى ينال الشهادة، وقد بشره بالشهادة هو وعمر رضي الله عنهما، حين كان مع النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه، على جبل أحد فاهتز الجبل، فقال النبي ﷺ: «اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»[١].

وقد روت عائشة رضي الله عنها حديثين يكشفان شيئاً من الوصايا النبوية لعثمان رضي الله عنه.

ومن ذلك أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: يا عثمان، إن ولاّك الله هذا الأمر يوماً فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمصك الله فلا تخلعه، فلا تخلعه، فلا تخلعه»[٢].

(١) صحيح الجامع الصغير ص ٨٨-٨٩ حديث رقم ١٣١.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه جـ١ ص٢٥.

قال النعمان (راوي الحديث) قلت: ما منعك أن تُعلمي الناس بهذا؟ (يعني أيام الفتنة وحصار الناس لعثمان في بيته)؟

قالت: أُنسيتُه[١].

وهل كانت رواية عائشة لهذا الحديث ستصد أهل الفتنة عن غايتهم؟ أو لم يذكرهم عثمان ببعض ما قدّم في سبيل الله؟ فماذا كان موقفهم؟ لقد زادوا إصراراً على هواهم.

وروت عائشة أن رسول الله ﷺ قال في مرضه (أي الذي توفي فيه):

- وددت أن عندي بعض أصحابي.

قلنا: ألا ندعو لك أبا بكر؟

فسكت.

قلنا: ألا ندعو لك عمر؟

فسكت.

قلنا ألا ندعو لك عثمان؟

قال: نعم.

فجاء فخلا به، فجعل النبي ﷺ يكلمه ووجه عثمان يتغيّر، قال قيس (أحد رواة الحديث)، فحدثني أبو سهلة (مولى عثمان) أن عثمان بن عفان قال يوم الدار (يوم حاصره الثائرون في داره):

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٢٥.

- إن رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً فأنا صائر إليه.

وقال علي رضي الله عنه في حديث: وأنا صابر عليه.

قال قيس: فكانوا يرونه ذلك اليوم(١).

ومن الأحاديث التي أشارت إلى البلاء الذي سيلقاه عثمان قول النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري الذي وقف على باب البستان الذي فيه بئر أريس وجلس فيه النبي ﷺ، فأذن لأبي بكر ولعمر، فلما جاء عثمان قال النبي ﷺ ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه(٢).

لقد تلقى عثمان الوصايا فحفظها وعمل بها حتى لقي الله تعالى صائماً شهيداً مظلوماً.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) اللؤلؤ والمرجان، ٣/ ١٣١.

موقف الصحابة من أحاديث الفتن

لقد تلقى الصحابة عن رسول الله ﷺ ما حدثهم به من أحاديث الفتن، ما عمّهم، وما خصّ بعضهم، وما كان للأجيال التالية، فنقلوا تلك الأحاديث، وأخذوها مأخذ الجدّ، لأنهم رأوا أن الفتن نوع من المرض يصيب الناس، وحديث رسول الله ﷺ عنها يراد منه ما يراد من التطعيم ضد المرض، الذي يعطي الجسم قدرة على المقاومة، أو هو دواء يشفي من ذلك المرض.

وها هو حذيفة رضي الله عنه يحدثنا عن رسول الله ﷺ حديثاً يكشف مرض الفتن، وكيف يتعامل الناس معها، وكيف تؤثر فيهم. قال رسول الله ﷺ: «تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير، عوداً عوداً، فأي قلبٍ أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى يصير القلب أبيض مثل الصفاة لا تضيره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربداً كالكوز مجخّياً (أي مائلاً) لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه[١]».

(١) صحيح الجامع الصغير ٥٦٩ حديث رقم ٢٩٦٠.

إن هذا الحديث يبين أن الفتن كالحصير، نسيج متصل، وأنها تعرض على القلوب فرادى، وللقلوب منها مواقف، فمن الناس من يقبلها، ويقْبل عليها ويقع فيها، ويشتعل في نارها هواه، فذلك الذي يسودّ قلبه حتى لا ينكر منكراً ولا يعرف معروفاً. ومن الناس من ينكشف له ما في الفتنة من السوء، فيُعرض عنها، ويكف هواه، ويتبع الهدى. وذلك من يعصمه الله تعالى من الفتنة. ومن علم ما أخبر به النبي ﷺ عن الفتن وأحسن الفهم، وتبصر في واقعه عُصم من الفتن.

لقد كان النبي ﷺ يكثر من الحديث عن الفتن ليحفظ أصحابه ذلك، وليبلغوه لمن بعدهم من المسلمين، ولينظروا فيما يخصهم منها، وقد كانوا يتأثرون بما يسمعون، ويتفاعلون معه إلى درجة الخوف، وإلى الحد الذي جعلهم يخافون من فتن لن تكون في زمانهم، وما ذلك إلا لأنهم أخذوا كلام رسول الله ﷺ مأخذ الجد، ولم يهملوه، كما يفعل كثير من المسلمين في زماننا. ومن ذلك ما كان من الصحابة رضي الله عنهم من الخوف من فتنة الدجال.

عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفّض فيه ورفّع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رُحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: ما شأنكم؟

قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل...»[١].

لقد سمعوا وتأثروا، وخافوا وأخذوا حذرهم، ولم يقولوا بيننا وبين الدجال قرون، ولم يسمعوا ويحفظوا ثم يهملوا، وقد عرف رسول الله ﷺ ذلك في وجوههم، وبين لهم أن بينهم وبين الدجال قروناً، ولن يدركوه، ولا داعي لخوفهم من فتنته.

---

(١) انظر الحديث في التاج الجامع للأصول ٥/ ٣٥٤.

انحراف السياسة وأثره في الدين

الحكم في الإسلام مسؤولية يهرب منها العقلاء ولا يطلبونها، وإذا أتيحت لهم من غير حرص أعينوا عليها، لا يعدونها مغنماً، لأن حساب الحاكم عظيم يعظم بكثرة رعيته. وقد أخبر النبي ﷺ أن الخلافة الراشدة من بعده ثلاثون سنة وأن الحكم سيتحول من بعد ذلك إلى ملك، وذلك في قوله:

- الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك[١].

وأخبر النبي ﷺ أن تلاعباً بالدين والأمة سيحدث من بعده حتى يصبح مال الله دولا (أي محتكرا) ويتخذ الولاة عباد الله خَوَلا (أي عبيدا).

- وقد حدث عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد قال:

أخبرني جدي قال: كنت جالساً مع أبي هريرة في مسجد النبي ﷺ بالمدينة، ومعنا مروان، قال أبو هريرة:

(١) رواه أحمد والترمذي وغيرهما، صحيح الجامع الصغير، ص٦٣٠، حديث رقم ٣٣٤١.

سمعت الصادق المصدوق يقول: هلكة أمتي على يدي غلمة من قريش. فقال مروان: لعنة الله عليهم غلمة.

فقال أبو هريرة: لو شئت أن أقول: بني فلان، بني فلان، لفعلت. فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا بالشام، فإذا رآهم غلماناً أحداثاً قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم. قلنا: أنت أعلم[(١)].

ومن أسباب الهلكة الجبروت والطغيان، ومن الطغيان تكميم الأفواه، وكبت الحُرّية، ويبين ذلك هذان الحديثان:

- تكون أمراء يقولون ولا يُردّ عليهم، يتهافتون في النار، يتبع بعضهم بعضاً[(٢)].

- ستكون أئمة من بعدي، يقولون فلا يُرد عليهم قولهم، يتقاحمون في النار كما تقاحم القرود[(٣)].

ولا يقف الطغيان والجبروت في القول الذي لا يُردّ عليه، بل يمتد إلى الصلاة لتلعب بوقتها الأهواء. والأمراء هم أئمة المسلمين

---

(١) فتح الباري ١٣/ ١١ حديث رقم ٧٠٥٨.

(٢) رواه الطبراني في الكبير، والأوسط وأبو يعلى، صحيح الجامع الصغير ص٥٧٤ حديث رقم ٢٩٩٠.

(٣) رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير، صحيح الجامع الصغير، ص٦٧٦، حديث رقم ٣٦١٥.

في صلاتهم ويشير إلى ذلك أحاديث منها: حديث عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال:

- سيكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، ويحدثون البدع.

قال ابن مسعود: فكيف أصنع؟

قال: تسألني يا ابن أم عبد كيف تصنع؟ لا طاعة لمن عصى الله(١).

وقال عليه الصلاة والسلام:

- ستكون أمراء تشغلهم أشياء، يؤخرون الصلاة عن وقتها، فاجعلوا صلاتكم معهم تطوعاً(٢).

ومثله هذا الحديث الذي فيه بيان للتعامل مع الصلاة:

- ستكون بعدي أئمة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، صلوها لوقتها فإذا حضرتم معهم الصلاة فصلّوا(٣).

---

(١) رواه ابن ماجه والبيهقي وأحمد والطبراني في الكبير، صحيح الجامع الصغير ص٦٨٣ حديث رقم ٣٦٦٤.

(٢) رواه ابن ماجه وأحمد وأبو داود، صحيح الجامع الصغير ص٦٧٦ حديث رقم ٣٦١٧.

(٣) رواه الطبراني في الكبير ومسلم، صحيح الجامع الصغير، ص٦٧٧ حديث رقم ٣٦١٩.

وإذا بلغ الأمر أن يتلاعب الأئمة بأمر الصلاة وأن يحدثوا البدع فإنهم لم يعودوا يقيمون لله وقارا، وإنما شغلتهم الدنيا عن الآخرة، وقد جاء التوجيه النبوي بكيفية التعامل مع الحكام الظلمة:

- ستكون أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع لم يبرأ[(١)].

- سيكون أمراء تعرفون وتنكرون، فمن نابذهم نجا، ومن اعتزلهم سلم، ومن خالطهم هلك[(٢)].

- سيلي أموركم من بعدي رجال يُعرّفونكم ما تنكرون، ويُنكرون عليكم ما تعرفون. فمن أدرك ذلك منكم فلا طاعة لمن عصى الله عز وجل[(٣)].

تلك بعض النبوءات النبوية التي أشارت إلى انحرافات في السياسة لها أثر على شعائر الدين، وهي لون من ألوان الفتنة.

---

(١) رواه مسلم وأبو داود، صحيح الجامع الصغير، ص٦٧٧ حديث رقم ٣٦١٩.

(٢) رواه مسلم وابن أبي شيبة والطبراني في الكبير، صحيح الجامع الصغير، ص٦٨٣ حديث رقم ٣٦٦١.

(٣) رواه الطبراني في الكبير والحاكم، صحيح الجامع الصغير، ص٦٨٢، حديث رقم ٣٦٧٢.

فساد اجتماعي وعقوبات ربانية

تضمنت أحاديث الفتن وأشراط الساعة كثيراً من النبوءات في مختلف مجالات الحياة، ومن ذلك نبوءات عن تغيّرات اجتماعية في المجتمع الإسلامي، وتحذير من سلبياتها.

فقد أخبر النبي ﷺ عن الفتوحات الإسلامية وما سينتج عنها من إقبال الدنيا على المسلمين، وما سيصاحب ذلك من سلبيات، لأن بعض النفوس تصبر على فتنة الضرّاء، ولكنها لا تطيق فتنة السراء، فتنحرف وتهوي، ويبدو أنها سنة في الأمم المختلفة أن تصاب بالأمراض الاجتماعية عندما تغنى.

قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي أخذ القرون شبراً بشبر وذراعاً بذراع».

قيل: يا رسول الله كفارس والروم؟

قال: ومَنِ الناس إلاّ أولئك؟[1]».

---

(١) رواه البخاري، صحيح الجامع الصغير، ص١٢٣٥ حديث رقم ٧٤٠٨.

وأخذ المسلمين أخذ القرون يوضحه حديث آخر بين الأمراض التي تصيب الأمم بالغنى:

قال رسول الله ﷺ:

«سيصيب أمتي داء الأمم: الأشر والبطر، والتكاثر، والتشاحن في الدنيا، والتباغض والتحاسد، حتى يكون البغي[١]».

والأشر: هو النشاط الدنيوي الذي ينتج عنه رضى بالحياة الدنيا، وغفلة عن الآخرة، وقد ذكر اللغويون من معانيه: البطر. والبطر: قلة احتمال النعمة بعدم القيام بحقها والاستعلاء على الناس بها بدلاً من القيام بشكرها.

والتكاثر: المباهاة بكثرة ما أوتي الإنسان من متاع الدنيا، والنظر إلى ما عند الآخرين، والسعي إلى الزيادة عليه.

والتشاحن في الدنيا: الاختلاف على أمور الدنيا مما يؤدي إلى تنافر القلوب.

والتباغض: هو ثمرة التشاحن؛ لأن الاختلاف على شيء يورث البغضاء في النفوس.

(١) رواه الحاكم، صحيح الجامع الصغير، ص٦٨٢، حديث رقم ٣٦٥٨.

والتحاسد: هو النظر إلى ما أنعم الله تعالى على الناس بغير رضى، وتمني زوال تلك النعم، وحين يصبح ظاهرة اجتماعية لا يكون حسداً بل تحاسد.

والبغي: هو العدوان، وهو ثمرة ما سبق، وبه تمتد اليد إلى حقوق الآخرين بغير حق، سرقة أو إتلافاً، بل تمتد إلى الآخرين عدواناً وقتلاً.

ومن التغيرات الاجتماعية التي أشار إليها النبي ﷺ شيءٌ من الترف يقع فيه الناس، تتحسن به أحوالهم، وتظهر عليهم به أثر النعمة.

قال رسول الله ﷺ:

«ستفتح عليكم الدنيا حتى تُنجّدوا بيوتكم كما تنجَّد الكعبة، فأنتم اليوم خير من يومئذ»[(١)].

والتنجيد كما جاء في كتاب النهاية في غريب الحديث: التزيين، يقال: بيت مُنجّد، ونجوده: ستوره التي تعلّق على حيطانه يزيّن بها.

وفي هذا الحديث إشارة إلى أمر لم يكن معروفاً في عهد النبي ﷺ، وإنما كانت تختص به الكعبة بالكسوة التي تغطيها.

---

(١) رواه الحاكم، صحيح الجامع الصغير ص٦٨٢ حديث رقم ٣٦٥٨.

ومن مظاهر الانحراف الاجتماعي التي تنبأ بها النبي ﷺ جعل الأكل والشرب هدفاً للحياة لا وسيلة لها، يظهر ذلك في قوله ﷺ:

«سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام، ويشربون ألوان الشراب، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدقون في الكلام، فأولئك شرار أمتي»(١).

وليس الأكل والشرب واللباس أموراً محظورة، بل أن يصبح المسلم دنيوياً همُّه الدنيا، ويتشدق بالكلام، ولا يصدّق فعلُه قوله فذلك هو المذموم.

ولن يقتصر الأمر في المجتمع الإسلامي ـ كما أخبر النبي ﷺ ـ على ترف وتوجه نحو الأكل والشرب، بل ستشيع في هذا المجتمع ألوان من المفاسد، تكون مقدمة لنزول العذاب، وفساد الأرض مقدّمة لقيام الساعة، وإذا فسد المسلمون الذين هم الشهود على الأمم فلا خير في الأرض وأهلها.

ومن ألوان الفساد الذي أشار إليه النبي ﷺ انتشار الجهل وشيوع الزنى، وشرب الخمر.

---

(١) رواه البخاري، صحيح الجامع الصغير ، ص ١٢٣٥ حديث رقم ٧٤٠٨.

قال رسول الله ﷺ:

- لا تذهب الأيام والليالي حتى تشرب طائفة من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها[١]

«إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنى، ويُشرب الخمر، وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد»[٢].

ولعل كثرة النساء وقلة الرجال ثمرة من ثمرات الفتن التي تحصد الرجال، وهي عقوبة ربانية لما ينتشر في المجتمع من المفاسد:

«لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل»[٣].

وإنما يُقبض العلم عند زهد الناس فيه، ولعل المقصود به العلم بالدين، وقد يعني العلم بعامّة. وكثرة الزلازل عقوبة ربانية بتسليط بعض مظاهر الطبيعة التي هي من جند الله، على من عصى الله. وتقارب الزمان يكون بنزع البركة من العمر، وقد ورد في ذلك بيان

(١) رواه ابن ماجه، صحيح الجامع الصغير، ص ١٢١٧ حديث رقم

(٢) رواه الشيخان وغيرهما، صحيح الجامع الصغير، ص٤٣٩ حديث رقم ٢٢٠٦.

(٣) رواه البخاري وغيره، صحيح الجامع الصغير، ص١٢٣٨، حديث رقم ٧٤٢٨.

في أحاديث كثيرة، فتكون السنة كالشهر والشهر كالأسبوع، والأسبوع كاليوم واليوم كاحتراق الشعلة.

ومع العقوبة من الطبيعة المسخّرة هناك العقوبة التي تقع على الناس بأن ينقسموا شيعاً وأحزاباً يحصد بعضهم بعضاً بالقتل الذي يؤدي إلى قلة الرجال وكثرة النساء.

ومن ألوان الفساد الاجتماعي انقلاب الموازين والقيم، وفساد الأخلاق حتى يصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

قال رسول الله ﷺ:

«سيأتي على الناس سنوات خدّاعات، يُصدّق فيها الكاذب، ويكذّب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخوّن فيها الأمين، وينطق الرويبضة.

قيل وما الرويبضة؟

قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة»[1].

وقد اقترن الفساد الاجتماعي في الأحاديث النبوية بعقوبات تحل بالعصاة.

قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم، صحيح الجامع الصغير ص٦٨١، حديث رقم ٣٦٥٠.

«سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسخ، إذا ظهرت المعازف والقينات واستُحلت الخمر»[١].

وإذا كان هذا الحديث قد بيّن سبب الخسف والقذف والمسخ فإن حديثاً آخر أشار إلى هذه العقوبات التي لا يمنعها وجود الصالحين في المجتمع.

قال عليه الصلاة والسلام:

«يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف.

قيل يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟

قال: نعم، إذا ظهر الخبث»[٢].

وفي حديث آخر:

«بين يدي الساعة مسخ وخسف وقذف»[٣].

والخسف ابتلاع الأرض لما عليها في بقعة معينة.

والقذف: رمي مَنْ على الأرض بقذائف من السماء، بشهب أو نيازك أو مطر مؤذ يصاحبه البَرَد الكبير الحب، أو غير ذلك من ألوان العقوبات السماوية.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط، صحيح الجامع الصغير، ص٦٨٣.

(٢) رواه الترمذي، صحيح الجامع الصغير، ص١٣٥٥ حديث رقم ٨١٥٦.

(٣) رواه أحمد وابن ماجه، صحيح الجامع الصغير، ص٤١٠ حديث رقم ٢٠٤٧.

والمسخ: تحويل الخلقة من صورة حسنة إلى سيئة، كما مُسخ بعض بني إسرائيل قردة وخنازير.

ومن العقوبات الناتجة عن الفساد كثرة القتل، وقد أخبر النبي ﷺ بكثرة القتل بين المسلمين قبيل قيام الساعة، هذا فضلاً عن الملاحم التي ستكون بينهم وبين غيرهم.

قال رسول الله ﷺ:

«إن بين يدي الساعة الهرج: القتل. ما هو قتل الكفار، ولكن قتل الأمة بعضها بعضاً، حتى إن الرجل يلقاه أخوه فيقتله، يُنتزع عقول أهل ذلك الزمان، ويُخلّف لها هباءٌ من الناس، يحسب أكثرهم أنهم على شيء، وليسوا على شيء»(١). ويكثر القتل العشوائي في آخر الزمان حتى لا يدري الناس لم يقتل بعضهم بعضاً:

«والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قَتل ولا المقتول في أي شيء قُتل»(٢).

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه، صحيح الجامع الصغير، ص٤١٠، حديث رقم ٢٠٤٧.

(٢) رواه مسلم، صحيح الجامع الصغير، ص١١٩٠، حديث رقم ٧٠٧٦.

دعاة منحرفون ودجالون

كشف النبي ﷺ للمسلمين ما سيحدث فيهم من انحرافات في الفكر، وبين أن دعاة سيظهرون، قد يغرّون الناس بظاهر صلاح، ولكن لهم علامات انحراف كشفها النبي ﷺ، وبين أن دجّالين ثلاثين سيظهرون بعده، كلهم يزعم أنه رسول الله. إن الدعاة المنحرفين هم دعاة على أبواب جهنم ينحرفون عن الحق، ويحرفون الناس عنه.

وهذه بعض الأحاديث النبوية الهادية:

- من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه الذي سأل فيه رسول الله ﷺ عن الخير والشر في تاريخ هذه الأمة قوله ﷺ:

- دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها.

قلت: يا رسول الله صفهم لنا.

قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا.

قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام.

قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك[١].

- لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد الأوثان، وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذاباً، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي[٢].

- إن بين يدي الساعة ثلاثين دجالاً كذاباً[٣].

- إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم[٤].

- لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة، ولا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله[٥].

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٣٨-٣٩ حديث رقم ٧٠٨٤.

(٢) رواه الترمذي والحاكم، صحيح الجامع الصغير، ص ١٢٣٦-١٢٣٧ حديث رقم ٧٤١٨.

(٣) رواه أحمد، صحيح الجامع الصغير، ص٤١٠، حديث رقم ٢٠٤٨.

(٤) رواه مسلم وأحمد، صحيح الجامع الصغير، ص٤١١، حديث ٢٠٥٠.

(٥) رواه الشيخان وغيرهما، صحيح الجامع الصغير، ص١٢٣٦، حديث رقم ٧٤١٧.

- يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يُضلّونكم ولا يفتنونكم[١].

ولعل فهم هذه الأحاديث على وجهها يدفع إلى دراسة (تاريخ الدجل) بعد رسول الله ﷺ، لمعرفة من ظهر من الدجالين ومن بقي منهم قبل أن يظهر الدجال الأكبر ـ المسيح الدجال الأعور.

وقد كثرت الأحاديث المحذّرة من دعاة ضالين مضلين، وبينت هذه الأحاديث صفاتهم التي تجعل المسلم على حذر منهم:

- سيكون في أمتي اختلاف وفرقة: قوم يحسنون القيل ويسيؤون الفعل. يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرَميّة، لا يرجعون حتى يرتد على فوقه. هم شرار الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم سيماهم التحليق[٢].

(١) رواه مسلم وأحمد، صحيح الجامع الصغير، ص١٣٥٤، حديث رقم ٨١٥١.

(٢) رواه أبو داود والحاكم وأحمد وابن ماجه، صحيح الجامع الصغير، ص٦٨٤ حديث رقم ٣٦٦٨.

- ينشأ نشأ يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج قرن قُطع، كلما خرج قرن قُطع، حتى يخرج في أعراضهم الدجال(١).

- سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة(٢).

وقد فهم كثير من العلماء أن المقصود بهؤلاء الدعاة هم الخوارج، وإذا صح ذلك في بعض الأحاديث فإن في بعضها نصاً على (آخر الزمان) ومعلوم أن الخوارج خرجوا في أول زمان الإسلام في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وفي الأحاديث إشارة إلى تتابع وجود أولئك الدعاة عبر القرون حتى يكون منهم من يحضر الدجال ويكون معه. والأمر بحاجة إلى دراسة وتبين حتى تنجلي الصورة، ويُعرف المراد من هذه الأحاديث، ومعرفة ما يخصّ الخوارج وما يعمّ غيرهم.

---

(١) رواه ابن ماجه، صحيح الجامع الصغير ص١٣٥٧-١٣٥٨ حديث رقم ٨١٧١.

(٢) رواه الشيخان، صحيح الجامع الصغير ص٦٨١ حديث رقم ٣٦٥٤.

آيات متتابعات قبل الساعة

لقد جمع النبي ﷺ في بعض الأحاديث عدداً من أبرز أشراط الساعة منذ زمانه ﷺ حتى قيام الساعة، وكأنها محطات مهمة في التاريخ الإسلامي، يلفت إليها ويؤرخ بها ومن ذلك:

- إن الساعة لا تقوم حتى تكون عشر آيات:

الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب. ونزول عيسى، وفتح يأجوج ومأجوج، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر، تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا[١].

ولعل من الملاحظ أن هذه الآيات هي التي سماها العلماء الأشراط الكبرى للساعة.

ومنها هذا الحديث الذي يضم كثيراً من الأشراط الصغرى:

- ست من أشراط الساعة: موتي وفتح بيت المقدس، وأن يُعطى الرجل ألف دينار فيتسخّطها، وفتنة يدخل حرّها بيت كل

(١) رواه الشيخان، صحيح الجامع الصغير ص٦٨١ حديث رقم ٣٦٥٤.

مسلم، وموت يأخذ في الناس كقُعاص الغنم، وأن يغدر الروم فيسيرون بثمانين بنداً تحت كل بند اثنا عشر ألفاً[١].

ويبدو أن تغيرات طبيعية ستحدث، تصيب إحساس الناس بالزمن بما سماه الحديث تقارب الزمان، ومن ذلك:

- لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضرمة بالنار[٢].

---

(١) رواه أحمد والطبراني في الكبير، صحيح الجامع الصغير ص٦٧٥.

(٢) رواه أحمد والترمذي، صحيح الجامع الصغير ص١٢٣٧ حديث رقم ٧٤٢٢.

كثرة المال في آخر الزمان

سعى الإنسان إلى حيازة المال منذ وجد على هذه الأرض، وتفتحت لديه شهوة التملك، وعرف قيمة الأشياء، وفي سبيل الحصول على المال اقتتل الناس، فقامت حروب بين دول وقبائل، وفي سبيله قُطعت الأرحام، وقُطّعت الأيدي عندما حُكّم شرع الله. هذا المال سيكثر في آخر الزمان كثرة تُزهّد الناس فيه. بذلك أخبر النبي ﷺ في أحاديث نبوية كثيرة منها:

- لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله، فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً[١].

ولعل مما يلفت النظر أن هذا الحديث يشير إلى عودة جزيرة العرب مروجاً وأنهارا، وهذا يعني أنها كانت في عهد سابق ذات مروج وأنهار. وقد أدركنا في زماننا بدايات عودة المروج في مواضع كثيرة من جزيرة العرب، ولا بدّ أن تتحقق النبوءة بتمامها بإذن الله.

---

(١) رواه مسلم، صحيح الجامع الصغير ص١٢٣٨ حديث رقم ٧٤٢٩.

ومن الأحاديث الدالة على كثرة المال قوله ﷺ:

- لا تقوم الساعة حتى يكثر المال فيكم فيفيض حتى يُهِمَّ رَبَّ المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أَرَبَ لي فيه[1].

وهناك إشارة إلى خليفة في آخر الزمان يكثر المال في عهده، ولعله المهدي خليفة آخر الزمان.

- يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعدّه[2].

- يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً ولا يعدّه عدّاً[3].

ومن الأحاديث التي تبين أسباب كثرة المال هذا الحديث الذي يكشف أن كنوز الأرض ستخرج وأن الذهب والفضة سيكثران بين أيدي الناس، قال رسول الله ﷺ مبيناً ذلك:

- تُلقي الأرض أفلاذ أكبادها أمثال الأُسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قَتلت. ويجيء القاطع

(١) رواه الشيخان، صحيح الجامع الصغير ص١٢٣٨ حديث رقم ٧٤٣٠.

(٢) رواه مسلم وأحمد، صحيح الجامع الصغير ص١٣٥٤ حديث رقم ٨١٥٠.

(٣) رواه مسلم وأحمد، صحيح الجامع الصغير ص١٣٥٥ حديث رقم ٨١٥٤.

فيقول: في هذا قَطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطعت يدي، ثم يَدَعونه فلا يأخذون منه شيئاً[(١)].

ولعل من هذا الباب الذي يكثر فيه المال، وتقذف الأرض مكنونات كنوزها ما بينه الحديث التالي الذي حدّد موقعاً من المواقع التي تخرج كنوزها مع ارتباط هذا الحدث بالقتل أو الهرج:

- لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، فيُقتل من كل مئة تسعة وتسعون، ويقول كلّ رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو[(٢)].

إن هذا الحديث يشير إلى انحسار الفرات عن جبل من ذهب وفي بعض روايات الحديث كنز من ذهب.

وها نحن نرى في زماننا السدود التي تقام على نهر الفرات، فهل يكون ذلك مقدمة لانحسار مياهه وانكشاف الذهب في موقع جبل من مجراه؟

ذلك ما يشير إليه الحديث وفي بعض روايات الحديث نهي للمسلمين عن التوجه إليه لأن المقتلة التي ستحدث عنده ليست لله، بل هي لطمع في الحصول على الذهب الذي لا يناله المقتتلون عليه.

(١) رواه مسلم والنسائي، صحيح الجامع الصغير ص٥٧٥، حديث رقم ٢٩٩٦.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/ ١٨.

الطائفة المنصورة الباقية

إن تصوير النبي ﷺ لما سيكون بعده، وبيان أن اليوم الذي يأتي شر من الذي قبله، لا يعني أن الخير سينقطع من هذه الأمة، فالخير في هذه الأمة باق إلى يوم القيامة، وأمر هذا الدين يتجدّد في مطلع كل قرن، وهناك طائفة من هذه الأمة ستظل مؤتمنة على هذا الدين حتى قيام الساعة. وقد زعم أهل كل علم أنهم هم الطائفة المنصورة: المفسرون والمحدثون والفقهاء وغيرهم، والحق ـ والله أعلم ـ أن الطائفة المنصورة تشمل المسلمين كلهم ممَّن تتوافَر فيهم الصفاتُ المذكورة في الحديث من استقامة على طريق الله وقتال في سبيل الله.

وهذه بعض الأحاديث التي تشير إليها:

– لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك[١].

(١) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه، صحيح الجامع الصغير، ص١٢١٩ حديث رقم ٧٢٨٩.

- عن عبد الرحمن بن شماسة المهري قال: كنت عند مسلمة ابن مخلّد وعنده عبدالله بن عمرو بن العاص، فقال عبدالله: لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، هم شر من أهل الجاهلية، لا يدعون الله بشيء إلاّ رده عليهم.

فبينما هم على ذلك أقبل عقبة بن عامر، رضي الله عنه، فقال له مسلمة: يا عقبة اسمع ما يقول عبدالله. فقال عقبة: هو أعلم.

وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول:

لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله، قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك.

فقال عبدالله: أجل. ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك، مسّها مسّ الحرير، فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس، عليهم تقوم الساعة[١].

وقد ورد حديث يشير إلى أن تلك الطائفة في بلاد الشام وإن يكن اللفظ ورد بلفظه الغرب في الحديث التالي الذي بيّن محققه الشيخ ناصر الدين الألباني أن الغرب يعني الشام:

- لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة[٢].

---

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذري ص٢٩٠ حيث رقم ١٠٩٦.
(٢) مختصر صحيح مسلم للمنذري ص٢٩٠ حديث رقم ١٠٩٧.

ولعل مما يؤيد ذلك الحديث التالي الذي يربط هذه الطائفة بنزول المسيح عيسى بن مريم الذي ينزل في دمشق.

- عن جابر بن عبدالله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صلّ لنا.

فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة[١].

وقد وردت عدة أحاديث عن الطائفة المنصورة، وينبغي أن نتنبه إلى أن بلاد الإسلام تمتد من أندونيسيا إلى المغرب، وأن في كل بلد من هذه البلاد مَنْ هو مِن الطائفة القائمة على الحق، التي تدعو إلى الله على بصيرة، وإن يكن من هذه الطائفة من سيقاتل الدجّال مع عيسى ابن مريم عليه السلام والمهدي خليفة آخر الزمان، ومن هذه الأحاديث:

- لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة[٢].

---

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذري ص ٥٤٨-٥٤٩ حديث رقم ٢٠٦٠.

(٢) صحيح الجامع الصغير ص١٢١٩ حديث رقم ٧٢٨٧.

- لا تزال طائفة من أمتي قوّامة على أمر الله لا يضرّها من خالفها[١].

- لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرّهم خذلان من خذلهم حتى تقوم الساعة[٢].

(١) المصدر نفسه، حديث رقم ٧٢٩١.

(٢) صحيح الجامع الصغير، ص ١٢١٩ـ ١٢٢٠ حديث رقم ٧٢٩٢.

المسلمون والملاحم

لم يقتصر بيان النبي ﷺ على ما سيكون في المجتمع الإسلامي من الفتن، أو على ألوان البلاء التي ستصيب أفراداً بأعيانهم من بعده، ولكنه حدّث المسلمين بما سيكون من صراع بينهم وبين الأمم الأخرى بدءاً من عصره حتى قيام الساعة.

ملاحم صدر الإسلام:

فقد أخبرهم بالفتوح ووجه إليهم النصائح بشأن البلاد التي سيفتحونها:

- «سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة: جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق. عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليه خيرته من عباده، فإن أبيتم فعليكم يمنكم، واسقوا من غُدركم، فإن الله قد توكل لي بالشام وأهله»[1].

وأخبر المسلمين عن فتوح لهم في البحر، وقد سمعت كلامه أم حرام بنت ملحان زوجة عبادة بن الصامت رضي الله عنهما،

(١) رواه أحمد وأبو داود صحيح الجامع الصغير ص ٦٨٢.

فطلبت من النبي ﷺ أن يدعو لها أن تكون من أولئك الفاتحين فدعا لها:

- عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت تحت عبادة بن الصامت (أي زوجة له) فدخل عليها يوماً فأطعمته، ثم جلست تُفلّي رأسه، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك.

قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟

قال: ناس من أمتي عُرضوا على غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرّة، أو مثل الملوك على الأسرة. (يشك أيهما قال):

قالت: فقلت: يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم.

فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك.

قالت: قلت: مايضحكك يا رسول الله.

قال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله. (كما قال في الأولى).

قالت: قلت: يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم.

قال: أنت من الأولين.

قال: فركبت أم حرام بنت ملحان في البحر في زمان معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت»[(١)].

وقد كانت أم حرام مع المسلمين حين فتحوا قبرص.

وقد روت أم حرام حديثاً آخر فيه ذكر لغزو المسلمين القسطنطينية فقد حدثت أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«أول جيش من أمتي يغزو في البحر قد أوجبوا.

وأول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وعدنا رسول الله ﷺ غزو الهند، فإن أدركها أنفق فيها نفسي ومالي، وإن قتلت كُنْتُ أفضل الشهداء، وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحرر».

وفي رواية: «عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار، عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم»[(٣)].

---

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذري ص ٢٥٨-٢٥٩ حديث رقم ١٠٧٤ وانظر فتح الباري ٦/ ٩٠، ١٠٣.

(٢) رواه البخاري، صحيح الجامع الصغير ص٥٠١ حديث رقم ٢٥٦٢.

(٣) رواهما النسائي في الجهاد، التاج الجامع للأصول ٥/ ٣٢٥.

ملاحم آخر الزمان:

تحدث النبي ﷺ حديثاً مفصلاً عن أحداث آخر الزمان، وهي أحداث لا بدّ أن تكون قبل قيام الساعة، ومن ذلك قتال اليهود، ولا بدّ من التنبيه إلى أن المسلمين قاتلوا اليهود في عهد رسول الله ﷺ عندما نقضوا العهود فأُجلي بنو قينقاع وبنو النضير، ونزل العقاب ببني قريظة، وطُهّرت خيبر والجزيرة العربية منهم بعد ذلك. وقتال اليهود الذي أخبر عنه النبي ﷺ مرتبط بأحداث تسبق الساعة، ولعلّه ما نشهده في عصرنا وما سيكون في عهد المسيح الدجال الذي سيخرج معه سبعون ألفاً من يهود أصبهان.

ومن الأحاديث عن قتال المسلمين لليهود:

- «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبدالله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»(١).

«لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم: هذا يهودي ورائي فاقتله»(٢).

---

(١) مختصر صحيح مسلم ص٣٥٣ حديث رقم ٢٠٢٥.

(٢) رواه الشيخان، صحيح الجامع الصغير ص١٢٣٦ حديث رقم ٧٤١٤.

أوليست هذه الأحاديث إشارة إلى ما أخبرت عنه سورة الإسراء من علو لليهود وإفساد في الأرض؟ لقد علوا في عصرنا هذا وأفسدوا لا في أرض فلسطين التي أقاموا عليها دولتهم بل في البلاد المجاورة لها، بل امتد علوهم وإفسادهم إلى الأرض كلها، فتحكموا في المال والسياسة والإعلام. ولعل ما سيكون لهم من علوّ في زمن الدجال أكبر من هذا العلو. والله أعلم.

ومما أخبر عنه النبي ﷺ من ملاحم آخر الزمان ما سيكون من الدجال ويأجوج ومأجوج، ولكن يسبق ذلك قيام خلافة إسلامية على منهاج النبوة، وفتوح في البلاد، فيصل الفتح إلى القسطنطينية، وهو فتح آخر غير الفتح الذي تم على عهد محمد الفاتح، كما يصل الفتح إلى روما.

والحديث الذي يشير إلى عودة الخلافة الراشدة يبين أن مراحل التاريخ الإسلامي خمس هي:

«١- تكون النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها.

٢- ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها.

٣- ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها.

٤- ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها.

٥- ثم تكون خلافة على منهاج النبوة.

ثم سكت»[١].

ولعل هذه الخلافة التي يخبر عنها هذا الحديث هي التي يكون في زمنها من الخير ما يدل على قول النبي ﷺ:

- يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولايعده[٢].

- يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً ولا يعدّه عدّاً[٣].

ولعل هذا الخليفة هو المهدي الذي أخبر به النبي ﷺ في أحاديث كثيرة، حتى قال بعض العلماء إنها بلغت حد التواتر، ومن هذه الأحاديث:

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٨ حديث رقم ٥.

(٢) رواه مسلم وأحمد، صحيح الجامع الصغير، ص١٣٥٤ حديث رقم ٨١٥٠.

(٣) رواه مسلم وأحمد، صحيح الجامع الصغير، ص١٣٥٥ حديث رقم ٨١٥٤.

- المهدي من عترتي، من ولد فاطمة[١].

- المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة[٢].

- المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين[٣].

- لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلما وجوراً[٤].

وفي عهد هذه الخلافة التي تتخذ من القدس عاصمة لها، ينزل المسيح عيسى ابن مريم ويتم قتال الدجال، ويكون قبل ذلك فتح القسطنطينية وروما.

وقد سئل النبي ﷺ:

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم، صحيح الجامع الصغير، ص١١٤ حديث رقم ٦٧٣٤.

(٢) رواه أحمد وأبو داود، صحيح الجامع الصغير، ص ١١٤ حديث رقم ٦٧٣٥.

(٣) رواه أبو داود والحاكم، صحيح الجامع الصغير ص١١٤ حديث رقم ٦٧٣٦.

(٤) رواه أبو داود، صحيح الجامع الصغير ص٩٣٨، حديث رقم ٥٣٠٤.

- أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟

فقال رسول الله ﷺ: مدينة هرقل تفتح أولاً.

يعني قسطنطينية[١].

ولقائل أن يقول: أليست القسطنطينية قد فتحت في عهد السلطان محمد الفاتح؟ وأقول إن هناك حديثاً يخبر بفتحها ويربط بين هذا الفتح وظهور الدجال:

قال رسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه:

- سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟

قالوا: نعم يا رسول الله.

قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها (قال ثور لا أعلم إلا قال) الذي في البحر. ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر.

ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر، فيُفَرَّج لهم، فيدخلوها، فيغنمون، فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٨٠٧ حديث رقم ٤.

الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون»[١].

وأصرح من هذا الحديث في ربط فتح القسطنطينية بظهور الدجال، هذا الحديث الذي يتحدث عن صراع بين المسلمين والروم:

- لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج لهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلّوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا. فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم ويُقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله، ويَفتح الثلث، لا يفتنون أبداً، فيفتحون قسطنطينية. فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذْ صاح فيهم الشيطان:

- إن المسيح قد خلفكم في أهلكم.

فيخرجون، وذلك باطل. فإذا جاؤوا الشام خرج. فبينما هم يُعدّون للقتال يسوّون صفوفهم إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فأمّهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح

(١) مختصر صحيح مسلم ص٥٣٤ حديث رقم ٢٠١٤.

في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته»[١].

وفي هذا الحديث والذي قبله نحتاج إلى وقفات ونظرات:

- فمن هم بنو إسحاق الذين يغزون القسطنطينية؟

- وفي الحديثين إشارة إلى أدوات القتال: السهام والسيوف.

- وحديث عن مسلمين سبوا من الروم، والسبي ثمرة من ثمرات الفتوح، والجيش القادم من المدينة هوجيش نصرة.

وفي الحديث أنّ فتح القسطنطينية يتم بالتهليل والتكبير الذي تكون ثمرته انهيار جوانب المدينة، أي دفاعاتها.

الملحمة:

لقد وردت عن رسول الله ﷺ من الأحاديث ما يشير إلى أن أطراف الصراع الدولي في آخر الزمان ستكون: المسلمين والروم مع الإشارة إلى عدو آخر لم يحدّد. والروم فيما أفهم يعني أوروبا، ولعل قوة أوروبا التي بدأت تتشكل في الاتحاد الأوروبي تشير إلى هذه القوة الرئيسية القادمة، وقد ورد عن رسول الله ﷺ حديث يبين أن تحالفاً سيقع بين المسلمين والروم لقتال عدوّ ثالث، فمَنْ هذا

(١) مختصر صحيح مسلم ص ٥٣٧ حديث رقم ٢٠٢٩.

العدو؟ هل يكون المارد الكامن في الصين الذي ستنبعث منه في أقرب الأقوال جموع يأجوج ومأجوج التي ستأكل الأخضر واليابس، وستفعل في الأرض أضعاف ما فعله المغول؟ هذا الاستنتاج أو الفهم يحتاج إلى بحث ومراجعة. إن الحديث الذي يحدثنا عن الملحمة يجعلنا نتذكر ما هو متداول في زماننا عن معركة (هرمجدون)، فهل هي الملحمة التي حدثنا عنها رسول الله ﷺ؟ الحديث يشير إلى اجتماع قريب من مليون جندي لقتال المسلمين بعد المعركة التي يخوضها المسلمون متحالفين مع الروم ضد عدو ثالث، ثم سيكون هناك انشقاق بين المسلمين والروم يدفع الروم إلى حرب المسلمين. إن هذا الحديث يدل على أن المسلمين سيكونون قوة سياسية دولية يُحسَب حسابها، وإذا ربطنا هذا الحديث بما سبق من فتح القسطنطينية وفتوح أخرى اكتملت الصورة عن قوة المسلمين. فلنقف على هذا الحديث وقفة تأمل:

- ستصالحكم الروم صلحاً آمناً ثم تغزون أنتم وهم عدوا، فتنتصرون وتغنمون وتسلمون، ثم تنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول، فيرفع رجل من أهل الصليب الصليبَ، فيقول:

- غلبَ الصليبُ.

فيغضب رجل من المسلمين فيقوم إليه فيدقه. فعند ذلك تغدر الروم، ويجتمعون للملحمة.

وفي إحدى روايات الحديث:

- فيجتمعون للملحمة حينئذ تحت ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفاً.

ويبين الرسول ﷺ بعض أنصار الدين في زمن الملاحم فيقول:

- إذا وقعت الملاحم بعث الله بعثاً من الموالي هم أكرم العرب فرساً، وأجوده سلاحاً، يؤيد الله بهم الدين[١].

ويلاحظ في هذا الحديث الإشارة إلى (ملاحم) لا ملحمة واحدة.

(١) صحيح سنن ابن ماجه ٢/ ٣٨٩ حديث رقم ٣٣٠٢.

فتنة الدجال

ومن الفتن العظيمة التي تنتج عنها مصائب في حياة المسلمين فتنة الدجال. وقد أكثر النبي ﷺ من الحديث عن هذه الفتنة إلى الحد الذي أثار الرعب في نفوس المسلمين، فطمأنهم وقال:

- «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه»[١].

وجعل من دعاء المسلم قبل التسليم من الصلاة أن يستعيذ من أشياء منها: فتنة المسيح الدجال.

وبين للمسلمين من أين يخرج فقال:

- «إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يميناً وعاث شمالاً، يا عباد الله، فاثبتوا»[٢].

ولنقف على هذا النداء النبوي الكريم الذي يخترق القرون داعياً المسلمين إلى الثبات.

ويدل النبي ﷺ فيه المسلمين على ما يعصمهم من الدجال:

(١) من حديث في صحيح سنن ابن ماجه ص٥٤٢ حديث رقم ٢٠٤٨.

(٢) من الحديث السابق ص٥٤٣.

«فمن رآه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف»[(١)] .

ويكشف لهم ما مع الدجال من سحر يخدع الأبصار، ويبين لهم كل ما سيكون منه، ليكونوا على بينة وبصيرة:

- لأنا أعلم بما مع الدجال منه. معه نهران يجريان: أحدهما رأيَ العين ماء أبيض، والآخر رأيَ العين نار تأَجَّج. فإمّا أدركنَّ أحد فليأتِ الذي يراه ناراً، وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد.

وإن الدجال ممسوح العين، عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه: كافر. يقرؤه كل مؤمن كاتب و غير كاتب[(٢)] .

أرأيتم هذا الوصف الدقيق، والتفصيل الذي يصل إلى وصف ظفرة غليظة على عين الدجال؟ وهذا الكشف لحقيقة ما مع الدجال وهذه التعليمات المفصّلة للمؤمنين في عصر الدجال كيف يكشفون حقيقة ما معه، وكيف يشربون الماء البارد الذي يتراءى لهم ناراً؟!

أليس في هذا البيان النبوي دلالة على أهمية دراسة أحاديث الفتن وأشراط الساعة وتلقي النصائح من الرسول ﷺ الحريص على أمته، ولرسم صورة واقعية لما نحن فيه ورؤية مستقبلية لما نحن مقبلون عليه؟

الفصل الثاني

الفقـــه المطلـــوب لأحــــاديــث الفتــن والملاحم

الفصل الثاني

الفقـــه المطلـــوب لأحـــاديـــث

الفتـــن والملاحم

الفصل الثاني

الفقه المطلوب لأحاديث الفتن والملاحم

(١)

أحاديث الفتن : العلم المهمل

لم أقصد إلى الاستيعاب في ما قدمت من أحاديث الفتن والملاحم، والموضوعات التي وردت فيها، وإنما الذي قدمته غيض من فيض. فللفتن كتب مجلدة. وأبواب مخصصة في كتب الحديث النبوي. وما أردته هو أن ألفت النظر إلى هذا (العلم المهمل) من كثير من علماء المسلمين، الذين يمرون به في كتب الحديث مرور التسليم أو الإعراض، من غير محاولة لفقهه والإفادة منه.

وإن تكن هذه الأحاديث قد تجدد الاهتمام بها بعد حرب الخليج الثانية (١٩٩٠م) وراجت أقاويل وروايات جعلت بعض الناس يزهدون في العلم الذي تضمنته أحاديث الفتن، جهلاً من بعضهم بحقيقتها، أو حيرة في مهمتها، ولقد راج في عدد من المواقع العربية في (الإنترنت) الحديث عن أحاديث الفتن بل خصصت لها مواقع. ومن الناس من يتحمس لها ويأخذها بشيء من التسرع في الفهم. ومن الناس من يحاول فهمها فهماً هادئاً رزيناً.

يوم الثلاثاء ١٠/ ٧/ ١٤٢٣هـ الموافق ١٧/ ٩/ ٢٠٠٢م عقدت في مدينة عمان ندوة بعنوان: «الإسلام وتحديات الألفية الثالثة..» وقد حضرتها مستمعاً، وكان من المشاركين فيها الدكتور حسن حنفي الذي قدم بحثاً عنوانه: (الإسلام والغرب)، وقد وصل في نهاية حديثه إلى أن الإسلام سيعود، وأن المسلمين على أبواب مرحلة جديدة من الصحو وعودة الحضارة الإسلامية، وقد دلَّلَ على ذلك بالوقوف على مظاهر الصحوة الإسلامية في لبنان وفلسطين وأنحاء أخرى من العالم الإسلامي. وقد عقبت على كلامه الطيب فقلت له: إن ما وصلتَ إليه من توقعات واستشراف للمستقبل مبنيّ على قراءة الواقع، والدراسة العلمية، والرؤية الفلسفية، وهذا الذي وصلتَ إليه مذكور في كنز من العلم مهمل عند كثير من المسلمين علمائهم وعامتهم، وهو باب أحاديث الفتن والملاحم. ومن ذلك أن هناك حديثاً نبوياً قسم التاريخ الإسلامي إلى خمس مراحل، والمرحلة التي ذكرتها أنت هي التي سماها النبي ﷺ:

«ثم تكون خلافة على منهاج النبوة».

وهي التي حدّث فيها عن خليفة في آخر الزمان يحثي المال حثياً.

وقد تلقف الدكتور الفاضل الفكرة، وكان وزير الأوقاف الأردني د. أحمد هليل حاضراً فدعاه إلى أن ترسل وزارة الأوقاف عدداً من المبتعثين الذين يدرسون أحاديث الفتن والملاحم تحت إشرافه في جامعة القاهرة، لاستخلاص رؤية تاريخية إسلامية منها. وأرجو أن يتم ذلك.

إنني أرى أن المسلمين قد قصروا طويلاً في دراسة هذه الأحاديث ضمن ما عرف في عصرنا بالدراسات المستقبلية. وإذا كانت هذه الدراسات تقوم على قراءة الواقع واستشراف المستقبل فإن عندنا في هذه الأحاديث علماً مستمداً من مشكاة النبوة فلماذا نضيّعه؟ ولماذا لا نحسن فهمه حتى نعرف مستقبلنا أو نبصره بنور نبوي؟

(٢)
اعتراضات على أحاديث الفتن

عقّب أحد (المشايخ) الذين حضروا تلك الجلسة مبدياً تخوفه من أن تكون هذه الأحاديث سبباً في التواكل . .

وهذه شبهة غريبة سمعتها أكثر من مرة من أكثر من شيخ ومن عامل في حقل الدعوة الإسلامية وجوابي عليها هو: أننا ابتداء نتعامل مع أحاديث صحيحة، ولنقف في هذه المرحلة عند ما صح من هذه الأحاديث.

أوليست هذه الأحاديث الصحيحة جزءاً من الرسالة النبوية التي بلغها الرسول ﷺ وأشهد على تبليغها؟

وإذا كان الجواب بلى! فالسؤال الذي يليه:

لماذا حدَّث النبي ﷺ بها؟

إذا تواكل من تواكل فذلك شأنه!

وهل يجرؤ أحد على اتهام النبي ﷺ أنه أراد أن يتواكل الناس؟

العيب فينا نحن، في منهجنا الذي نتعامل به مع أحاديث الفتن، وهذا ما يحتاج إلى تصحيح، إن الفلّاح الذي يتوقع نزول الغيث لا ينام في بيته، بل يحرث الأرض، ويبذر الحب، ثم يقول: يا رب. وكذلك ينبغي أن يكون حالنا مع أحاديث الفتن، من نُذر وبشارات؛ نستعدّ للسوء بصالح العمل الذي نتدرَّع به، ونستعدّ للبشارات لنكون من أهلها.

ألم يحوّل المسلمون القرآن الكريم إلى قرآن مآتم؟

فهل العيب في كتاب الله ـ حاشاه ـ أم في الذين أساؤوا فهم رسالته والتعامل معه؟!

ألم تجر عادة مشايخ الأزهر في القرون الأخيرة بقراءة صحيح البخاري عند الشدائد طمعاً في تفريجها؟

لقد فعلوا ذلك عند نزول جيش نابليون أرض مصر طمعاً في أن يرد الله تبارك وتعالى جيش الفرنسيس عن مصر ببركة تلك القراءة. فهل يعيب هذا العمل صحيح البخاري؟

وهل نقول:

لقد صار القرآن الكريم رمز حزن وتشاؤم للمسلمين، وصار صحيح البخاري سلاحاً غير فعال لدى المسلمين؟!

إن علينا أن نقف من هذه الأحاديث موقف الصحابة الكرام الذين أحسنوا الفهم عن رسول الله ﷺ، فاستمسكوا بما وصاهم به، ونفذوا تلك الوصايا، وكانت النبوءات التي حدثهم بها عن مصائرهم أو أحوال المسلمين من بعده مصابيح هداية لهم في ظلمات الفتن.

وكذلك ينبغي أن تكون لنا.

فضلاً عن كونها دلائل نبوة، نراها فنقول بيقين يزيدنا إيماناً:

نشهد أن محمداً رسول الله، بلغه الله ما سيكون فعلَّمنا إياه!

إن علينا أن نستكشف ما يخصنا في عصرنا هذا من الأحاديث.

وأن نحسن الفهم عن رسول الله.

(٣)

نموذج للفهم السليم

وأضرب على الفهم السليم لأحاديث الفتن مثلاً سمعته من الأستاذ أحمد الخطيب (رحمه الله) صاحب مكتبة الأقصى في عمان:

فقد حدثني أن الشيخ الدباغ ـ وكان من العلماء المشهورين في شرق الأردن في الحرب العالمية الثانية ـ كان يقسم في تلك الحرب أن بريطانيا ستنتصر، وأن ألمانيا ستنهزم.

وكان قوله ذلك مخالفاً لاتجاه الرأي العام لدى العرب في ذلك الوقت، حيث كانوا مع ألمانيا التي وقفت ضد اليهود.

وكانوا يكرهون انتصار بريطانيا لأنها استعمرت بعض البلاد العربية وتبنت المشروع الصهيوني.

وقد ساء ظن بعض الناس في الشيخ، على فضله ومكانته، وظنوا أنه مجند في (الطابور الخامس)!!

وسأله بعض خاصته عن سر موقفه، وكيف يقسم أن بريطانيا ستنتصر؟

وهنا أقدّم رواية هذا الشيخ رحمه الله نموذجاً للفقه المطلوب لأحاديث الفتن والملاحم، ذلك الفقه الذي يحسن إدراك الواقع، ويحسن تنزيل النص عليه.

فماذا كان جوابه رحمه الله؟

قال: ألم يخبر رسول الله ﷺ أن المسلمين سيقاتلون اليهود قبل قيام الساعة؟ وها هو الوعد النبوي يتجلى في الحركة الصهيونية التي تحالفت مع بريطانيا، وبريطانيا هي الدولة المنتدبة على فلسطين وقد أعانت اليهود بكل سبيل لإقامة دولتهم، ولو انتصرت عليها ألمانيا لما تحقق ذلك الوعد، ولما وقع قتال المسلمين لهم بعد أن تصبح لهم قوة.

لم يكن فهم الشيخ الدبّاغ رحمه الله داعياً إلى الاستسلام، أو ترك الجهاد، أو فتح المجال لليهود للاستيطان في فلسطين، أو للتحالف مع بريطانيا، ولكنه اجتهد في قراءة النص، ورؤية الواقع، فكان ذا رؤية ثاقبة صدّقها الواقع.

وليس لأحد أن يعترض على هذا الفقه السياسي الدولي للشيخ الذي استنبطه من الحديث النبوي ليقول: إذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي أن نقف في وجه هذا الأمر الذي أخبرنا عنه الرسول ﷺ فهذا الفهم ناقص لأن النبي ﷺ أخبرنا عن قتال المسلمين لليهود ولم يقل لنا استسلموا بل قاتلوا.

(٤)

فهم أعوج لأحاديث الفتن

وفي مقابل هذا الفهم الواعي، أضرب مثلاً لفهم مرفوض، لأنه غير مبني على فهم النص النبوي، ولأنّ فيه تأويلاً يأباه النص، وإن يكن في قراءة الواقع ما يضلل. لقد نشط التأليف في أحاديث الفتن بعد حرب الخليج الثانية عام ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ورجع بعض المؤلفين إلى تلك الأحاديث التي رأوا فيها بعض ما يحدث في زماننا، وسعوا إلى رسم صورة للمستقبل استشرافاً مما ورد في هذه الأحاديث. وقد قدم عدد من المؤلفين رؤى مقبولة، يستساغ فهمها. ولكن رأيت لبعضهم فهماً فيه شيء من التكلف لأن النص يأباه، ولأن ذلك الفهم قام على ليّ عنق النص بما لا يقبله البيان العربي ولا دلالات الألفاظ:

لقد نظر أحد المؤلفين في نص مروي عن كعب الأحبار قال:

«علامة خروج المهدي ألوية تقبل من المغرب عليها رجل أعرج من كندة» ففسر المغرب بالغرب، وزاد في ذلك فجعله أمريكا، وعقب على ذلك بهذا الفهم:

«ما كنت أظن أن يختار الأمريكان رجلاً أعرج فيجعلوه في منصب رئيس هيئة أركان القوات المشتركة، بل كنت أقول في نفسي لعل المقصود بكلمة أعرج: أي ضعيف مثلاً، أو رأيه عاجز، لأنه كان أبعد شيء عن ظني أن يسوغ لهم أن يجعلوا قائد أعظم قوات عسكرية في العالم أعرج، حتى من باب التشاؤم أن تكون القوات عرجاء عاجزة كقائدها. فلما رأيت الجنرال ريتشارد مايرز يقبل على عكازين ليعلن للشعب الأمريكي بدء عمليات القوات المشتركة الجوية والبرية والبحرية ضد أفغانستان قلت: الله أكبر، صدقت يا رسول الله..»!![1]

إن مما يلفت النظر في هذا الاستنتاج عدة أمور:

١ - هذا النص الذي بني عليه الفهم منسوب إلى كعب الأحبار لا إلى رسول الله ﷺ، وإن ما رواه كعب من أخبار المستقبل ليس مروياً عن رسول الله ﷺ، بل هو مستمد من كتب بني إسرائيل ونبوءات أنبيائهم، فلا مسوّغ لأن يهتف الكاتب: الله أكبر، صدقت يا رسول الله!!

(١) هرمجدون ـ آخر بيان يا أمة الإسلام ـ أمين محمد جمال الدين، ص ٣٥-٣٦.

٢- هذا النص يشير إلى ظهور ألوية من (المغرب) ومن أين جاء للمؤلف فهم المغرب بأنه أمريكا؟ هذا فهم لا مسوّغ له.

٣- وأعجب من ذلك أن النص يشير إلى أن قائد هذه الألوية عربي من قبيلة (كندة)، فمن أين جاءه العلم أنّ الجنرال (الأعرج) ريتشارد مايرز عربي كِنْدي؟ ولو كان هذا الجنرال من دولة كَنَدا (!!!) لقلنا: تشابهت الأسماء!! ولكنه أمريكي لا كندي (!!).

وتبقى نقطة أخيرة وهي عرَج الجنرال!! إن صفة الأعرج تقال لمن أصيب إصابة تمنعه من السير المستقيم، ولا تقال فيمن يصاب إصابة عارضة يبرأ بعدها، وذلك ما كان من شأن الجنرال مايرز، وهو ليس بأعرج عرجاً دائماً بل كان عرجه ناتجاً عن حادث عارض برئ منه.

إن هناك فرقاً واضحاً بين هذا الفهم وفهم الشيخ الدبّاغ، وذلك ما ينبغي الالتفات إليه عند قراءة أحاديث الفتن والملاحم، لا ينبغي التسرّع في الاستنتاج، أو التقاط جزئية وإغفال الصورة الكاملة. كما ينبغي تمحيص النصوص التي يستند إليها الفهم.

وأشير هنا إلى ما تسرّع به بعض الكتاب من فهم السفياني والأخنس بتنزيل هاتين الصفتين على بعض الزعماء المعاصرين، أو

جزم بعض أهل العلم بوجود المهدي وظهوره في سنة محددة فذلك من المجازفات التي قد تبنى على (رؤيا) غير صادقة أو (رؤية) غير دقيقة.

(٥)
أحاديث الفتن بين التصريح والرمز

إن مما يلفت النظر في أحاديث الفتن أن منها ما هو واضح لا يحتاج إلى تأويل، فعندما اهتز جبل أحد وكان عليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان قال النبي ﷺ: «اثبت أحد فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد». تبيّن لنا ما يدل عليه الحديث من إشارة إلى استشهاد عمر وعثمان رضي الله عنهما، وكذلك كان.

وعندما يرد حديث بقتال الروم في مكان محدد، أو بفتح القسطنطينية، أو ذكر الملحمة أو غير ذلك من الأحاديث الصريحة يكون الأمر هيناً، ولكن الجهد الأكبر يكون الأحاديث العامة أو الرمزية التي يكون بعضها أشبه بالرؤيا التي تحتاج إلى معبّر، ولا ريب أن الأفهام تختلف، وأن القلوب أوعية، ولواقط فهم، وأن العقول وسائل إدراك والله يؤتي الحكمة من يشاء.

ومن أمثلة هذه الأحاديث ما ورد عن فتنة الأحلاس:

- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا عند النبي ﷺ، فذكر الفتن، فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل:

- وما فتنة الأحلاس؟

قال: هي هرَب وحرَب، ثم فتنة السراء، دَخَنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه منّي وليس منّي، وإنما أوليائي المتقون. ثم يصطلح الناس على رجل، كورك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء، لا تدع أحداً إلا لطمته لطمة، فإذا قيل انقضت تمادت حتى يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، حتى يصير الناس إلى فسطاطين! فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذلك فانتظروا الدجال من يومه أو غده»[١].

ولا بـد من التروي قبـل الاستنتاج، فالأمر يحتاج إلى تروّ وبُعد نظر لنقول: هل جاءت هذه الفتنة أو تلك، ولنعرف ما مضى وما هو قائم وما هو قادم. لأن القضية ليست استعراضاً للقدرات العقليـة، بل سعي إلـى الفهم الذي يستفيد منه المسلمون في العصر الذي يقع فيه الحدث الذي تحدث عنه النبي ﷺ.

---

(١) التاج الجامع للأصول ٥/ ٣٠٦.

(٦)

الحركات الإسلامية وأحاديث الفتن

شهد العصر الحديث تكالب الدول الاستعمارية على بلاد الإسلام مما أدى إلى تمزيقها أو تقطيع أوصالها وقيام دول قُطرية على أنقاض السلطة العثمانية التي ألغيت الخلافة فيها سنة ١٣٤٢هـ الموافق لعام ١٩٢٤م وقد قامت قبل سقوط الدولة العثمانية محاولات للنهضة في عدد من البلاد، وقامت بعد سقوطها حركات ودعوات وأحزاب سعت إلى استئناف الحياة الإسلامية من جديد، وتنوعت أساليب هذه الحركات والأحزاب بين الدعوة السلمية واستخدام القوة في تحقيق الأهداف، وبخاصة في العقدين الأخيرين، واتخذت بعض الحركات الأسلوب (الديمقراطي) طريقاً للوصول إلى الحكم. وأغلب ظني أن أياً من هذه الحركات لم يهتد بأحاديث الفتن في وضع أهدافه، ورسم خطته، وتحديد وسائله، وإنما اجتهدت من عند ذاتها وفق مقتضيات الواقع في ضوء فهمها للإسلام.

إنني أرى أن من الضروري أن يرجع (فقهاء) الحركات الإسلامية إلى أحاديث الفتن والملاحم. ليعرفوا مواطئ أقدامهم، وليبنوا استراتيجية عملهم على هدي نبوي. وليعرفوا ما الهدف الذي يمكن تحقيقه؟

وهل يكتفون بالدعوة والعمل في نطاق الجماهير، ويقومون بالمناصحة لأولي الأمر حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، تعود فيه للإسلام دولته، ويكون للمسلمين فيه خليفة، وذلك الوقت تسبقه تطورات تؤدي إلى رسم خريطة بلاد الإسلام من جديد وفق مصلحة المسلمين، تزول فيها الدويلات، وتنتهي التبعية السياسية، وتعود للمسلمين عزتهم وكلمتهم.

أتكتفي الحركات الإسلامية بذلك أم تراها تمدّ عينيها إلى العمل السياسي بدعوى اكتساب الخبرة والمشاركة في الحكم؟

وما فائدة ذلك؟ وما سلبياته؟

وهل هو سعي لتحقيق مكاسب فردية أو حزبية أم فيه مصلحة حقيقية للمشروع الذي ندبت الحركة نفسها له؟

إن مما ينبغي أن يلتفت إليه أهل العلم تلك الأحاديث التي تدعو المسلم إلى ترك أمر العامة والاهتمام بأموره الخاصة، إذا رأى هوى مطاعاً وشحاً متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه. بل إن بعضها يبين

أن خير الناس في بعض الأزمنة رجلان: أحدهما آخذ بعنان فرسه يجاهد في سبيل الله والآخر معتزل الناس في رأس جبل أو شعب بغنمه يعبد الله.

المطلوب أن يقدم أهل العلم للناس فقهاً مستمداً من أحاديث الفتن ومن الأصول العامة للإسلام يعرفون بها متى يترك المسلم أمر الناس وينزوي، ومتى يشارك في الأمور العامة ويصبر على الأذى، إن في أحاديث الفتن علامات وهداية، وفي فقه الواقع الذي يعيشه المسلم ما يعين على تبين الطريق. فلا يستوي من عاش في بلاد يستطيع فيها أن يقيم شعائر الإسلام ولا يؤذى في دينه بمن عاش في بلاد يجبر فيها على التخفي، وتمنع المسلمة من ارتداء الحجاب. المطلوب من العلماء أن يقرؤوا الواقع ويفقهوا التعليمات النبوية لتسير الحركات الإسلامية على هدى وليكون المسلمون أفراداً وجماعات على بينة.

إن بعض أحاديث الفتن تقدم لنا فقهاً سياسياً، ورؤية سياسية، يمكن أن نقدمها نموذجاً للتعامل بين المسلمين وغيرهم، وأوضح مثل على ذلك حديث الملحمة الذي أشار إلى تحالف المسلمين مع الروم، تحالف أنداد لا تحالف أتباع.

في أحاديث النبي ﷺ عن الفتن علامات وفي فقه العصر ما يكون دليلاً للمسلم.

وللعلماء دور لا بد أن يقوموا به في هداية الناس إلى ما يفعلون.

(٧)

موسوعة لأحاديث الفتن

إن من المهم إعداد موسوعة الفتن والملاحم التي تستوعب ما أخبر به النبي ﷺ، وتصنيفها وفق أسس متعددة منها:

تصنيف هذه الأحاديث وفق أحكام علماء الحديث ما صَحَّ منها وما كان حسناً أو ضعيفاً أو موضوعاً. وإن كنت أرى أن من المهم الإفادة من الضعيف أو الموضوع وإن كان بحاجة إلى دراسة خاصة ونظرة خاصة لأن أحكام المحدثين ظنية لا قطعية، ولأننا لسنا في مجال الأحكام والعقائد، بل الأخبار التي ينبغي أن نطّلع عليها، وأن نكون منها على حذر. وأن نحذر من أمر فلا يقع خير من أن نغفل عنه ويقع.

ثم من المهم تصنيف هذه الأحاديث موضوعياً وفق ما تحدثت عنه من أحداث وقضايا، لأن التصنيف الموضوعي يلمّ شتات الموضوع ويعين الباحث على تكوين صورة كاملة عما يبحث عنه.

وتصنيفها زمنياً ورصد ما حدث منها فيما مضى، واستكشاف ما هو حادث في زمننا، وما هو قادم في الزمن الآتي، واستشراف خطط العمل المستمدة من هذه الدراسة.

ومن المهم دراسة جغرافية الفتن والملاحم ورسم خريطة لها، ورصد المدن والبلاد التي وردت أسماؤها في أحاديث الملاحم وذلك لمعرفة ميدان المعارك القادمة بين المسلمين وخصومهم والاستعداد لها، وتحديد آفاق الفتوح في دورة الإسلام الجديدة القادمة التي يراها غير المؤمنين أوهاماً وأحلاماً، ويراها المؤمنون حقائق ستنجلي عنها الأيام.

ومن المهم كذلك دراسة (ديمغرافية) الفتن والملاحم فقد جاء في بعض الأحاديث أن العرب يقلّون، وأن الروم يكونون أكثر الناس.

ومن المهم دراسة هذه الأحاديث دراسة سياسية تستكشف مراكز القوى وأقطاب الصراع، والتحالفات الدولية زماناً ومكاناً.

المطلوب بكلام موجز دراسات استراتيجية مستقبلية مبنية على فهم الواقع واستشراف المستقبل بالاستهداء بالأحاديث النبوية.

(٨)
أحاديث الفتن والدراسات المقارنة

يبدو أن التنبؤ بالمستقبل كانت سنة لدى أنبياء الله عبر العصور، ولكل أمة نبوءاتها التي ورثتها عن أنبيائها، لا أقول هذا جزافاً بل لدي دليل من القرآن الكريم ومن سنة النبي ﷺ.

فقد كان لدى أهل الكتاب علم بظهور النبي ﷺ، وقد نص القرآن الكريم على ذلك في مواضع كثيرة منه، منها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٧].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩].

وقد نص القرآن الكريم على تبشير المسيح عليه السلام بمجيء نبينا محمد ﷺ: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ﴾ [الصف: ٦].

وقد حفظ الذين آمنوا من أهل الكتاب من موروثهم نبوءات حدثوا بها بعد إسلامهم، فيما عُرف في تراثنا بالإسرائيليات التي شملت أخباراً سابقة ونبوءات لاحقة.

وقد أشار النبي ﷺ إلى شيء من نبوءات الأنبياء السابقين عن الدجال، بقوله: «ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب»[١].

إن توافر النبوءات المستقبلية لدى الأمم المختلفة نقلاً عن أنبيائها يعزز ما أدعو إليه من ضرورة الإفادة مما نبأنا به رسولنا محمد ﷺ، في واقعنا ومستقبلنا، ويجعلني أدعو إلى القيام بدراسات مقارنة بين ما ورد عندنا وما ورد عند الأمم السابقة مما ورد عندهم في كتبهم أو ما رواه أهل الكتاب الذين أسلموا وصار ذلك جزءاً من التراث الإسلامي.

وسنجد أن هناك أموراً متفقاً عليها بين الأمم، وهذا الاتفاق لا يجعلنا نرى ما يراه بعض الباحثين من أن هذه النبوءات التي عندنا تسربت إلينا منهم، بل ما دامت الأحاديث صحت لدينا، فإنها حق نؤمن به، وتشابه ما عندنا بما عند الآخرين يزيدنا إيماناً أن ذلك كله صدر عن مشكاة واحدة، هي مشكاة الوحي.

إن هناك شبه اتفاق على ظهور المسيح ابن مريم في آخر الزمان لدى المسلمين وأهل الكتاب، مع اختلاف في التصور، ولكن الفكرة واحدة.

---

(١) صحيح الجامع الصغير ص ١٠٠٨ حديث رقم ٥٧٨٩.

فالمسيح الذي ينتظره اليهود الذين كذبوا بعيسى ابن مريم هو المسيح الدجال. ونحن والنصارى ننتظر المسيح عيسى ابن مريم.

وقس على ذلك ظهور المهدي، ووقوع الملحمة في آخر الزمان.

إن هذا التراث الموجود لدى الأمم الأخرى يحتاج إلى من ينهض له بدراسات مقارنة نزيد بها يقيناً بما عندنا، ونستكشف ما عند الآخرين، ونرسم مستقبلنا على هدى وبصيرة بما عندنا وما عندهم. وذلك أمر يحتاج إلى معهد متخصص أو إلى أولي عزم من الباحثين يمتلكون المنهج السليم والرؤية الصائبة.

(٩)
القرآن وأحداث آخر الزمان

لم يكن الحديث عن أحداث آخر الزمان أو أشراط الساعة شأن النبي ﷺ في أحاديثه الشريفة، بل ورد ذكر لها في القرآن الكريم.

فهناك حديث عن بعض أشراط الساعة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

فهنا تصريح بشرط من أشراط الساعة وهو انشقاق القمر، وإشارة عامة إلى مجيء أشراطها. وقد كان من أشراطها بعثة النبي ﷺ. ووردت إشارات إلى أشراط أخرى منها قوله تعالى في الحديث عن السد الذي أقامه ذو القرنين وحجز يأجوج ومأجوج وراءه ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٧-٩٨].

وجاء الحديث عن يأجوج ومأجوج في موضع آخر يشير إلى انسياحهم في الأرض، وذلك في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ

يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء: ٩٦-٩٧].

ومن أشراط الساعة التي حدثنا عنها القرآن الكريم دابة الأرض في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢].

إن حديث القرآن الكريم عن أشراط الساعة جاء مجملاً، وجاء التفصيل في أحاديث الرسول ﷺ، والقرآن الكريم والحديث الشريف كلاهما وحي من الله تعالى، وورود شيء من أشراط الساعة أو الفتن والملاحم في القرآن الكريم يثبت أصل القضية التي ينكرها بعض المنكرين أو يتجاهلها من يؤمن بها ويمرّ بها كأنها ليست من الوحي المطلوب فهمه، أو من العلم النبوي الذي ينبغي تلقيه والإفادة منه. والخاسر في النهاية هو من أعرض عن ذكر الله أو عن هدي نبيه ﷺ، ومن الإعراض أن تجد علماً يخص عصرك أو العصور التالية وعلامات هداية على طريقك، رسمها لك رسول الله ﷺ فتتجاهلها، وتعتمد على عقلك وحده.

إن إلحاحي على هذا الأمر نابع من إدراكي لأهميته، ولإحساسي بتجاهل كثير من الناس له، علماء ودعاة وأفراداً

وجماعات، ولرؤيتي بعض من ليس مؤهلاً لخوض هذا المجال قد خاض فيه فأحسن الفهم حيناً، وأساء حيناً آخر.

أما بعد

فأظن أن رحلتك أيها القارئ لم تكن طويلة مع هذا الكتاب، ولكنها رحلة تمتد زمناً طويلاً: من عهد الرسالة النبوية إلى قيام الساعة وما بين ذلك من فتن وملاحم وأحداث كبار.

وما قدمته لك (عيّنات) أرجو أن تدفعك إلى المزيد من الاطلاع الذي يسهم في تكوين الوعي ولا يكون سبباً في (الإحباط) أو (التخدير) أو (التواكل).

إن علينا أن نتذكر أن محدّثنا هو رسول الله ﷺ وأن له غاية من هذه الأحاديث.

وأنها أمانة أداها، ورسالة بلغها.

وأن المسؤولية في أعناقنا نحن الذين تلقيناها.

فماذا نحن فاعلون؟

هل نتجاهل هذه الأحاديث بدعاوى مختلفة أساسها العجز أو الجهل أو التجاهل؟

هل نحولها إلى تمائم نقرؤها للتبرك؟

المطلوب غير ذلك:

الفهم الواعي للرسالة النبوية.

وحسن التبصر، والإدراك للواقع.

وتلقي ما يخصنا أفراداً وجماعات من هذه الرسائل المبثوثة في هذا الكنز من العلم النبوي. ولعل الله تعالى إن مدّ في العمر، وبارك في الفهم يعينني على العودة مرة أخرى إلى هذه الأحاديث في جولات جديدة تسهم في إثارة الوعي ولفت النظر لتتحقق الفائدة المطلوبة.

ولا تحرم أخاك من دعوة بظهر الغيب إن رأيت أنه قدّم لك شيئاً مفيداً.

وإلى اللقاء...

صدر للمؤلف

١- القدس تصرخ (شعر)، دار البيان، الكويت ١٩٦٩ .

٢- قصائد للفجر الآتي (شعر) مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨١ .

٣- مشاهد من عالم القهر (شعر) دار البشير، عمان، ١٩٨٣ .

٤- أصداء الغزو المغولي في الشعر العربي، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٣ .

٥- الغزو المغولي أحداث وأشعار، دار البشير، عمان، ١٩٨٤ .

٦- الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث، دار البشير، عمان ١٩٨٤ .

٧- خصائص القصة الإسلامية، دار المنارة، جدة، ١٩٨٨ .

٨ - شخصيات قرآنية، دار البشير، عمان ١٩٩٢ .

٩- من قصص النبي ﷺ، دار البشير، عمان، ١٩٩٢ .

١٠- نظرات إسلامية في الأدب والحياة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣ .

١١- صـــور ومواقــف مــن حيـــاة الـــصالحين، دار البـــشير، عمـــان ١٩٩٥.
١٢- صور و مواقف من حياة الصالحات ، دار البشير، عمان ، ١٩٩٥.
١٣- نداء إلى حكماء الأمة ، دار الأعلام، عمان، ٢٠٠٢.
١٤- العلاقات الأسرية ، رؤية إسلامية، دار الأعلام، عمان ، ٢٠٠٢.
١٥- فلسطين ميراث الأنبياء، دار الأعلام، ٢٠٠٣.
١٦- معجم ابن بطوطة في رحلته ، دار المأمون ، عمان ، ٢٠٠٥.
١٧- محجبات و لكن، دار المأمون، ٢٠٠٦.

محتويات الكتاب

أحاديث الفتن
والفقه المطلوب

لإخبار النبي - صلى الله عليه وسلم - عن بعض ما سيقع في المستقبل، أهمية خاصة..

لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا ينطق عن الهوى..

وما يقوله يشكل ومضات من عالم الغيب تتنبأ ببعض ما سيقع، وتفسيره..

واهتمام المسلم بهذه الأحاديث في محله بناء على ذلك..

غير أن هذا يجعلنا أمام مطلبين كبيرين:

1- محاولة تمييز حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - من كلام غيره، وذلك من مهمات علوم الحديث.

2- محاولة التأسيس لفقه خاص بهذه الأحاديث حتى يستفيد منها المسلمون في واقع حياتهم، وهو ما يدعو هذا الكتاب إليه..

وإن كان الكاتب ألمح إلى اهتمامه بمتابعة البحث في كتب أخرى، فإن دعوته كانت صريحة لأهل العلم بأن يتصدوا لدراسة هذه الأحاديث، لحاجة الأمة إليها وخاصة في الأزمات المطبقة التي تمر بها.

الناشر